موسوعة
القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية

(١٨)

حب الخير

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢٠٣-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٨)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢٠٣-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٨)

موقع المكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
حب الخير لغةً	٧
حب الخير اصطلاحًا	٨
حب الخير فطرة بشرية ومطلب إنساني	٩
العرب وحب الخير	١٤
الإسلام ودعوته لحب الخير	٢٥
سيرة الرسول ﷺ في حب الخير	٣٢
المرأة وعاطفة حب الخير	٣٥
من أبواب حب الخير	٣٨
حب الخير والتربية	٦٦
المؤسسات الخيرية ودورها الإنساني	٧٢
مواقف تاريخية في حب الخير	٧٦
حب الخير للحيوانات	٨٢
من آثار حب الخير للمجتمع	٨٤
الفهارس	٨٩

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

إن القيم والأخلاق الفاضلة عنوان تقدم الأمم والمجتمعات البشرية وصلاحها، وهي إن حكمت سلوك الناس وتصرفاتهم فقد انعكست لها آثار إيجابية عظيمة، تتمثل أول ما تتمثل في الأمن والطمأنينة والاستقرار، وهي إذا كانت راسخة ذات جذور عريقة في الفكر والمعتقد انقلبت اتزانًا وصلاحًا وحضارة.

إن الفرد جزء من مجتمعه، والمجتمع مظهر من مظاهر الأمة، والإنسانية مجموع الأمم والشعوب على اختلاف لغاتها وأعراقها ومجتمعاتها، و لم يخلق الله هذا الوجود بمن فيه وما فيه إلا ليدرك الإنسان غاية هذا الخلق في معرفة الخالق، وعبادته، وفي التخلق بمكارم الأخلاق التي من خلالها يؤكد إيمانه، وإنسانيته.

لقد توجهت جميع الأديان إلى الإنسان تدعوه إلى معاشرة الناس من حوله، المعاشرة اللائقة، والتعاون معهم بما يرضي الله، ويقوي أواصر القربى والمحبة بين الناس، وحثت جميع الأديان على العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، وفعل الخير، ونبذ الشر، وقد أولى الإسلام هذا الجانب اهتمامًا خاصًا حين ركّز على الفرد الفاضل أولاً، ثم على مجتمع الفضيلة ثانيًا، في العلاقة التكاملية بين الفرد والمجتمع.

وفضيلة حب الخير فطرةٌ بشرية متأصلة في النفس، ولكنها تتفاوت من شخص لآخر، وتتغير وفقًا للظروف والأحوال والمعتقدات، قد تكون كامنة خامدة تحتاج إلى دوافع وبواعث تفجر طاقتها، وتطلقها لتتحول واقعًا حيًا، وعملاً يترجم معانيها إلى سلوك، ويحول مفاهيمها إلى حركة ومعاملة.

لا شك أن المجتمع الذي تسوده فضيلة حب الخير يعيش حياة مميزة، تتمثل في التعاون والتكافل، وسرعة حل المشكلات الاجتماعية المستعصية، كالفقر، والبطالة، والمرض، والجريمة، وغيرها.

www.mtenback.com

والمجتمع الذي يربي أبناءه على هذه الخصلة من الأخلاق الكريمة يتميز بترابطه، وقوة علاقاته الاجتماعية.

وبتأمل حال المجتمعات المختلفة نجد أن فضيلة حب الخير تكون بارزة أكثر في المجتمعات المؤمنة التي تربي أبناءها على الأخوة والترابط، ومن ثم الاحتساب على عمل الخير، حيث يشكل الأمل بالفوز برضوان الله تعالى في النفوس باعثًا للهمة، ودافعًا معنويًا للبذل والتضحية من أجل الآخرين، ليصبح ذلك خلقًا طبيعيًا يدخل في نسيج الشخصية دون تصنع، كما أن الرهبة من الحساب تنفي عن النفوس ذميم الأخلاق التي ترسخ الأنانية والأثرة والحرص والطمع وغيرها.

وعلى مستوى الفرد فالغالب أن لدى الإنسان طاقة دافعة تدعوه ليقدم شيئًا نافعًا يشعر معه بتحقيق مكانة لشخصيته عن طريق خدمة الناس، والمشاركة في مشاريع النفع العام، ومنافسة ذوي العزيمة في دفع عجلة التقدم والبناء في المجتمع.

وهذه الطاقة الكامنة إذا تحولت إلى عمل وحركة واستثارها صاحبها بهمة ونشاط، ووجهها توجيهًا سليمًا إلى مواطن الخير والإصلاح وخدمة الآخرين، لابد أن تنتج ثمارًا يانعة، وتحقق فوائد نافعة، في مجالات اجتماعية عدة.

كثيرون هم الذين يملكون هذه الطاقة في كافة المجتمعات الإنسانية، ولكنهم في الغالب لا يجدون الوسيلة التي تمكنهم من الوصول إلى مظانّ فعل الخير، أو لا يملكون ما يحققون به كل ما تطمح له أنفسهم من فعل الخير وتقديم الخدمة للآخرين، أو لا يعرفون كيف يصرفون هذه الطاقة في مجالها الصحيح، فيحتاجون إلى من يوجّه فيهم هذه القوة الإنسانية.

ومن هنا كان العمل القائم على التعاون الجماعي في مجال حب الخير أكثر نفعًا، وأفضل نتيجة، وأعظم أثرًا، كما أنه حين ينبني على خطط مدروسة، ونظام محدّد، وتخصص أهدافه وغاياته، يكون ذا قدرة أكبر على تقديم الخدمات والأعمال الخيرية، وتنفيذ المشروعات التي لا يستطيعها الأفراد بجهودهم المشتتة، ولا يملكون مقوماتها.

www.mtenback.com

حب الخير لغة:

المحبة في اللغة نقيض البغض، والحب والوداد شيء واحد[1].

وفي الصحاح: «رجلٌ خيّرٌ، وخيّرٌ (مشدد ومخفف)، وكذلك امرأةٌ خَيِّرةٌ وخَيْرةٌ، قال الله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾[2]. جمع خَيْرَة، وهي الفاضلة من كل شيء.. فإن أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خير الناس، و لم تقل خيِّرة، وفلانٌ خيرُ الناس و لم تقل أخْيَر»[3]. وخيّرتهُ بين الشيئين أي فوضت إليه الخيار ، والعقل هو الذي يُسوّغ لنا أن نعمل هذا العمل أو لا نعمله، كما أنه هو الذي يُسوّغُ لنا أن نختار، يُقال:طالب اللذة هو الشهوة، وطالبُ الغلبة هو الغضب، وطالب الخير المظنون هو الظن، وطالب الخير الحقيقي هو العقل، ويُسمى هذا الطلب اختياراً، فالخير ضد الشر، ويُراد به عامة كل ما يبعث على الرضا والاستحسان لكماله في نوعه، أو لملاءمته، أو لفائدته، أو لاتفاقه مع الأوامر الإلهية.

ومما أضافه الزبيدي في تاج العروس: والخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع، وهو ضربان: خيرٌ مطلق، وهو ما يكون مرغوبًا فيه وخير وشر مقيدان بكل حال وعند كل أحد[4]، لأن الخير والشر من المعايير الكبرى للقيم الأخلاقية، وينصب الخير على القيمة الذاتية للشيء، أو العمل دون أن يلحظ فيه ما يلحظ في الواجب من فكرة الإلزام والقصد[5].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ) ١/٢٩٠، مادة [حب].

(2) سورة التوبة: ٨٨.

(3) الجوهري: الصحاح: مادة خَيَر و في سورة التوبة: ٨٨

(4) الزبيدي: تاج العروس، وزارة الثقافة والأنباء، الكويت، (د.ت) (١١/٢٣٨).

(5) مرعشلي، نديم: الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، (١٣٩٤هـ) ص٣٨٠.

www.mtenback.com

حب الخير اصطلاحًا:

ويعني الترغيب في فعل مجموعة من القيم ومكارم الأخلاق التي يكون تعارف الناس على مقدار حسنها، عن طريق تمني الخير للآخرين أو فعله لهم أو مساعدتهم على تحقيق ذلك وهو درجات متفاوتة أعلاها الأثرة وأدناها الدعاء بالخير والبركة إن كان المرء لا يملك إلا هذا.

وفاعل الخير يمتاز بصفات خلقية أهمها التفاني في خدمة الآخرين وإنكار الذات والبعد عن الأنانية والغيرة والحسد وغير ذلك، وهذه كلها من صفات الإيمان، فالمؤمن كما قال الحسن: «لا يحيف على من يُبغض، ولا يأثم فيمن يُحبّ»[٦].

وماغرست هذه الفضيلة في النفوس إلا لحاجة فطرية تركبت في البشر، فالمرء لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الآخرين، لأنه لا بدّ له منهم، ولا بُدَّ لهم منه، والحاجات بينهم متبادلة بغضّ النظر عن منازلهم الاجتماعية واختلاف طبقاتهم. وإذا كان الحال كذلك كان كل طرف محبًا لتحصيل الخير، والذي يجد حلاوة الخير حين يبلغه الخير، لابُد أن يبذله للآخرين، وبذلك يسلم من الشر، لأنه كما قيل: «من ابتغى الخير اتّقى الشرّ»[٧]. يقول الشافعي[٨]:

وَمَنْ يَقْضِ حَقَّ الجارِ بَعْدَ ابْنَ عَمِّهِ ... وصَاحِبِهِ الأَدْنَى عَلَى القُرْبِ وَالبُعْدِ

يَعِشْ سيدًا يَسْتَعْذِبُ النَّاسُ ذِكْرَهُ ... وَإِنْ نَابَهُ حَقٌ أَتَوْهُ على قَصْدِ

---

[٦] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم: عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، (١٤١٨هـ)، ج ٣، ص١٤.

[٧] انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٣، ص ٢٢.

[٨] الشافعي، محمد بن إدريس: ديوانه، جمعه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، ص ٤١.

www.mtenback.com

حب الخير فطرة بشرية ومطلبٌ إنساني:

والميل نحو الخير أو الشر أمرٌ فطري جبل عليه الإنسان منذ بدء الخليقة، حيث قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٩]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١٠]. فالشكر خير له، والكفر شر عليه.

وحب الخير هو الأصل في الطبيعة البشرية، وذلك كما جاء في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها»[١١].

وأفعال الشر طارئة تأتي نتيجة لانفعالات وظروف وأحوال وتغيرات تطرأ على حياة الإنسان في علاقاته المختلفة، وينتج عنها اتباع للهوى وضعف أمام الشهوات وانسياق وراءها.

قال ابن خلدون: اعلم أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر، والشر أقرب الخلال إليه[١٢].

قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لَمّة بابن آدم، وللمَلَكِ لَمَّةً، فأما لَمّة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لَمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾»[١٣].

---

[٩] سورة البلد: ١٠.

[١٠] سورة الإنسان: ٣.

[١١] رواه البخاري ١١٨/٢، ومسلم ٢٠٤٧/٤.

[١٢] ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢، (١٤١٨هـ) ص١٢٠، وانظر: تفصيل ابن خلدون لذلك فيما سيرد عن (العرب وحب الخير قبل الإسلام).

[١٣] الترمذي: الجامع، رقم ٢٩٨٨ و سورة البقرة: ٢٦٨.

www.mtenback.com

فحب الخير إذن هو الأساس الذي يبقى ويدوم ، والنفس تميل نحوه أكثر لو لم تتعرض للضغوط والإغراءات والملهيات، ولكن مع وجود تلك المؤثرات يضل كثير من الناس، وينحرفون عن الجادة، وتحيد بهم الأهواء عن سواء الصراط.

ولأهمية حب الخير، ولضرورة تجذره في النفوس، ولترتب صلاح المجتمع على مدى ما يصل إليه أبناؤه من مستوى في حبهم للخير، فإننا ندرك حقيقة كونه مطلبًا إنسانيًا مهمًا، وحاجة ملحة وضرورية لا يُستغنى عنها مطلقًا.

وحب الخير مهمٌ لأن المجتمع الذي يفتقر إليه سيعاني من كل أشكال الجريمة، وذلك بسبب ظهور الطبقية، واستعلاء الأغنياء على الفقراء، وغلبة الأنانية والأثرة والأمراض الفكرية والخلقية، وما أسرع أن تهيمن على نفوس طبقة من أبنائه خصال الشر مثل الحرص والطمع والشح والحسد، في حين أنه تهيمن على نفوس الطبقة الأخرى خصال البغض والكره والحقد وحب الانتقام.

وحب الخير فضيلة ينبغي أن تستوطن سويداء القلوب، وتتمكن من النفوس لتعمرها بالمحبة والشعور بالمودة للآخرين، لأن نهضة الأمة وتقدمها يعول بها عليه، ويناط تحصينها من كل المثالب والشرور به، ولذا يجب اتخاذ جميع السبل الكفيلة بتحقيقه ونشره وتربية الأمة عليه[١٤]:

إذا لَمْ تَجُودُوا وَالأُمُورُ بِكُمْ تُمْضَى ... وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْدِيْكُمُ البَسْطَ والقَبْضَا

فَمَاذَا يُرجَّى مِنكُمُ إنْ عُزِلْتُمُ ... وَعَضَّتْكُمُ الدُّنيا بِأَنْيَابِها عَضّا

وَتَسْتَرْجِعُ الأَيَّامُ مَا وَهَبَتْكُمُ ... وَمِنْ عَادَةِ الأَيّامِ تَسْتَرجِعُ القَرْضَا

إن ترسيخ مفاهيم حب الخير وخدمة الآخرين، والحرص على النفع العام والخاص، وتربية أبناء المجتمع على هذه الفضائل، إضافة إلى التعاون الجماعي في تحقيق

---

[١٤] الشافعي: ديوانه، ٥٥.

www.mtenback.com

كل ما فيه خير الناس وصلاح أحوالهم، وتوجيه ذلك عن طريق المؤسسات والجمعيات الخيرية المدعومة، يمكن أن يحقق الفوائد النفسية التالية:

-إحياء النفوس، والتأليف بينها، وتقريب بعضها من بعض.

-معالجة مشكلات الفقر، واليتم، والبطالة.

-طمس بواعث الأنانية والأثرة، والتطهر من رذائل أخلاقية كثيرة، مثل الحرص والطمع والبخل.

-النهوض بالمجتمع عن طريق تنشيط حوافز الإعمار والبناء.

-الرقي بالمجتمع من الناحية الإنسانية، وتغليب مبادئ التعاون والتكافل.

-إذابة الفروق الاجتماعية وتحقيق التماسك والترابط والتآزر بين الفئات المختلفة في المجتمع.

-تخليص المجتمع من أمراض اجتماعية كجرائم السرقة والفحش والخنا والمخدرات وغيرها.

إن حب الخير عنوان تقدم وحضارة، وقيمة جمالية تمنح المجتمع رونقًا وبهاءً، وتضيف إليه ميزة تجعله يهيمن على المجتمعات الأخرى بهذه الخصلة العظيمة.

يقول الدكتور مصطفى السباعي: «ليس أدل على رقي الأمة وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العالم، من سمو النزعة الإنسانية في أفرادها، سموًا يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان، وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم، وبآثارها في هذا السبيل يفاضل بين حضارتها ومدنيتها»[١٥].

والناس في الاتجاه نحو فعل الخير أصناف عديدة، فمنهم صاحب الهمة العالية الذي يقضي جل حياته ساعيًا يبحث عن مظانّ الخير، ويفتش عن الأبواب التي يلج من

---

[١٥] مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، (١٤٠٧هـ) ص١٢١.

www.mtenback.com

خلالها للإصلاح والتغيير نحو الأحسن، في عالم من الفضيلة تهيمن عليه صفات الخير بكافة أشكالها، فنجده يسير والخير في دمه، يحل معه أينما حل، ويخلف آثاره إذا رحل، وفي مثل ذلك يقول الشاعر[١٦]:

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودكُمُ ... وتُذنبونَ فَنَأتِيكُمْ ونَعْتَذِرُ

ولعمري إنه لتعبير بليغ عن أرقى ما يمكن أن يصل إليه حب الخير في الإنسان، وإلا فمتى كان المريض يتحامل على نفسه، ويمضي بالرغم من الآلام والشدة لزيارة الإخوان والصحبة خوفًا على حبال الود أن تقطع، وحرصًا على الصلة، وبرًا بالمعارف والأهل، وكيف يمكن أن نتصور أن يبدر الاعتذار من المعتدى عليه للمعتدي، ومن المظلوم للظالم إلا إذا كان ذلك خفضًا للجناح من أجل أن تبقى علاقات المحبة، وأواصر القربى، وروابط التكافل لا تعكرها منغصات الجفاء والقطيعة. إنه حب الخير في أجمل صوره، وأبهى تجلياته في النفوس العامرة بالصلاح والهدى.

ومن الناس من تكون همته دون ذلك، فيفعل الخير بمقدار ما لديه من فضل في قوته ووقته وجهده، ومنهم من يفعل الخير إن كان في فعله مصلحة من أجر دنيوي أو منفعة عاجلة تعود عليه، ومنهم من لا ينهض إلى فعل الخير إلا بشق الأنفس فترى خيره قليلاً جدًا، وأثره إن لم يكن معدومًا فلا يكاد أحد يحسه، ومنهم من لا يعرف للخير طريقًا مطلقًا، بل الشر ديدنه وصفته الملازمة التي لا تنفك عنه.

والناس يألفون من يحب الخير لهم، وينجذبون نحوه، وذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها: «جبلت قلوب الناس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[١٧].

---

[١٦] الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف: تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، (١٩٩٩م) ٥٧٨/١.

[١٧] الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت) ٩٩/٢.

www.mtenback.com

و الإنسان بحبه للخير إنما يجعل مكانه في قلوب الناس، فيرفع نفسه، ويصونها عن الدناءة، ويجعل لها مقامًا مرموقًا يتمناه كل من يعرف الخير ويحبه لنفسه ولغيره.

قال الشاعر[١٨]:

وَمَا المرءُ إلاّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَفِي صَالِحِ الأخْلاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ

وقال آخر[١٩]:

سَابِقْ إِلَى الخَيْرَاتِ أَهْلَ العُلا ... فَإنما النَّاسُ أَحَادِيثُ

كلُّ امرِئٍ مِنْ شَأْنِهِ كَادِحٌ ... فَوارثٌ منْهُ وَمَوْرُوثُ

إن من الكرامة أن يجاهد المرء مع نفسه ويلزمها طريق الخير، لا فرق بين قريب وبعيد، ولا بين صديق وعدو، إلا أن لكل واحد من هؤلاء منزلته.

ولعل من أجمل ما قيل في هذا المضمون، ما جاء على لسان ابن المقفع، حين قال: «ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحيتك، ولعدوك عدلك، وضنّ بدينك وعرضك عن كل أحد»[٢٠].

ومحب الخير محبوب مرغوب، يأنس به الناس، ويرجون مودته، ويفتقدونه إذا غاب، ويكون منهم بمنزلة إذا حضر.

وليس معنى هذا البذل فحسب، بل يتمثل حب الخير في أمور كلها يؤول إلى صلاح النفس وتخليصها من الأحقاد والآلام، والوصول بالمجتمع إلى درجة من التماسك والتراحم والاطمئنان.

---

[١٨] الجاحظ: البيان والتبيين (٢/١٠٣).

[١٩] المصدر السابق (٢/١٠٤).

[٢٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣/٢٠.

www.mtenback.com

وقد قيل لخالد بن صفوان: «أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي، ويسد خللي»[٢١].

العرب وحب الخير:

يصور بعض الكتاب أن العرب في جاهليتهم عاشوا حياة القسوة، وأن نفوسهم لا تهدأ دون أن تلج في الدماء، ولا تعيش إلا على القتل والسلب والنهب.

ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنه وإن وقعت بينهم حروب ومنازعات وأيام فإن لكثيرٍ منها ما يبرره، وبرغم ذلك فقد تخللها مواقف (خيِّرة) فيها نبل وشهامة ورحمة لا تكادُ تُحصى من كثرتها، وحتى مع أعدائهم سطروا أروع مواقف العفو والصفح وحب الخير.

ولم يذكر التاريخ في حروبهم انتهاكات وجرائم بشعة كالتي يشهدها العالم في أوج حضارته وتمدنه في القرون الحاضرة.

ويجدر أن يشار إلى أن بعض الحروب التي وقعت بين العرب كان سببها الدفاع عن النفس، أو نصرة المظلوم، أو حماية الذّمار، أو صون العرض، وغير ذلك.

وما وصفت أيامهم بالجاهلية إلا لشركهم وجهلهم بعقائد التوحيد والشريعة.

يقول ابن خلدون في مقدمته: «.. إن أهل العصبية دائمًا يتنافسون في الخير وخلاله، من الكرم والعفو عن الزلات، والاحتمال من غير القادر، والقرى للضيوف، وحمل الكل، والصبر على المكاره، والوفاء بالعهد، وبذل الأموال في صون الأعراض، وتعظيم الشريعة، والانقياد إلى الحق، والتواضع للمسكين، واستماع شكوى المستغيثين، والتحافي عن المكر والخديعة، ونقض العهد، وتلك خلق السياسة، فقد

---

[٢١] ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢٢/٣).

www.mtenback.com

حصلت للعرب فاستحقوا أن يكونوا ساسةً لمن تحت أيديهم، وإنه خيرٌ ساقه الله تعالى إلى العرب، وإن الله تأذن لهم بالملك»[٢٢].

ومن هنا كانت للعرب فضيلة التهيؤ والاستعداد لحمل أعظم رسالة، وأكمل شريعة للعالمين.

ويظهر في قول ابن خلدون أن من أبواب حب الخير التي كانت سائدة أيام العرب قبل الإسلام صلة الرحم، والعفو، والتغاضي عن الهفوات، والإصلاح، وحسن الجوار، والكرم، والبذل، والجود، ومساعدة الفقراء، ونصرة المظلوم، وحسن المعاشرة، وكلها تميز بها العرب وسطروها واقعًا خلال حياتهم ومعاملاتهم المختلفة.

ويرى ابن خلدون أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر، ويبرر ذلك بقوله: «وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهيأة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خيرٍ أو شرٍ»[٢٣].

وأكثر العرب كما هو معروف أهل بداوة، وقلة منهم أهل حضر، أي أنهم أمة خير انطبعت وجبلت عليه كما يرى ابن خلدون.

وكانت العرب تستخدم الشعر وسيلةً لبعث نوازع الخير، واستثارتها، لأن الشعر بالنسبة لهم مفتاح وصولٍ لتحقيق كثيرٍ من المآرب، والتي من أهمها حث الملأ وعلية القوم على البذل والكرم ومساعدة الآخرين.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستميل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم[٢٤].

---

[٢٢] ابن خلدون، مقدمته، ص١٣٤.

[٢٣] المصدر السابق، ص١١٦.

[٢٤] الجاحظ: البيان والتبيين (١٠١/٢)

www.mtenback.com

ومن أمثلة ذلك قول الأعشى في مدح الأسود بن المنذر اللخمي بأنه يصل الرحم، ويفك الأسرى من القيد[٢٥]:

وَصِلاتُ الأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّـ ـاسُ وَفَكُّ الأَسْرى مِنَ الأَغْلالِ

وقالت أم حكيم في رثاء أبيها عبد المطلب[٢٦]:

أَلا يا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهِلِّي وَبَكِّي ذَا النَّدى وَالمَكْرُمات

وَصُولاً لِلقَرَابَةِ هَبْرزِيًّا وَغَيْثًا فِي السِّنِينِ المُمْحِلات

وبالإضافة إلى الشعر برزت الخطابة وسيلةً إلى تحقيق المآرب في المناسبات العديدة كالأسواق، والاجتماعات، والندوات العامة، والمواسم.

واهتم بعض خطباء العرب بالجانب الأخلاقي في خطبهم، ودعوا إلى حب الخير للناس جميعًا، وإلى الصلح والسلام والعفو والصفح، ونبذ الفرقة والأثرة والشح.

من ذلك خطبة عامر بن الظرب العدواني في أحد المواسم مخاطبًا قومه، فكان مما قال: «يا معشر عدوان، إن الخير ألوف عزوف، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه، وإني لم أكن حليمًا حتى اتبعت الحلماء، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم»[٢٧].

وقال أيضًا: «يا معشر عدوان، إياكم والشر، فإن له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إن من دفع الشر بالشر رجع الشر عليه، وليس في الشر أسوة، ومن سبقكم إلى خير فابتغوا أثره تجدوا فضلاً، إن خالق الخير والشر وسعهما ولكل يد منهما نصيب»[٢٨].

---

[٢٥] ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤هـ)، ص١٦٦.

[٢٦] ابن هشام: السيرة النبوية، دار الفكر، القاهرة، (د.ت) ١/١٨٧.

[٢٧] الجاحظ: البيان والتبيين (٢/١٩٩).

[٢٨] أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم: شرح القصائد السبع الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، (١٩٦٣م) ص٤٢٦.

www.mtenback.com

ويدعو دريد بن الصمة، في خطبة له، إلى الإكثار من الخير والابتعاد عن الشر أو دفنه، فيقول: «واستكثروا من الخير فإن زهيده كبير، واجعلوا السلام محياة بينكم وبين الناس ومن أسدى إليكم خيرًا فأضعفوه له ووسّعوا الخير وإن قل، وادفنوا الشر يمت»[٢٩].

فهذه الدعوة الإنسانية لالتزام الخير والابتعاد عن الشر، كان في مجتمع العرب قبل الإسلام من ينادي بها، ويدعو لها، ويدافع عنها، بالرغم مما كان من النزاعات والحروب في ذلك الوقت.

وإذا توقفنا عند أحد هذه المظاهر، وهو العفو عن المسيء، نستطيع القول: إن ذلك خلق العربي بالفطرة، فالعربي يعرف الخير والشر، ويكافئ على الخير خيرًا، ويجازي على الشر شرًا، ولكنه كثيرًا ما كان يعفو عن المسيء، ويغفر الزلات التي تبدر من الآخرين نحوه.

فأخبار المكارم عند العرب قد طَبقت الآفاق، ومظاهر حب الخير عندهم قبل الإسلام متعددة، منها إطعام الطعام والرفادة، وكانت الرفادة، عادة عظيمة تقوم بها قريش في كل موسم، وقد تولاها مدة غير يسيرة هاشم بن عبد مناف الذي كان يصنع طعامًا للحجاج ويطعمهم في كل موسم، وإذا حضر الحج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا ما تصنعون لهم به طعامًا أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه، فيخرجون لذلك خرجًا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيُصنع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها.

---

[٢٩] أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصر (١٩٦١م)، ص٥٩.

www.mtenback.com

وهكذا امتثلت قريش لنداء هاشم بن عبد مناف، ففعلوا ما أمرهم به، فكانوا يُخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجًا فيدفعونه إليه فيصنع به طعامًا للناس أيام منى[٣٠].

وقال الشاعر في آل عبد مناف[٣١]:

يَا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلاَّ نَزَلتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ

المُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ ... وَالظَّاعِنِيْنَ لِرِحْلَةِ الإِيْلاَفِ

وَالمُطْعِمِيْنَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... حتّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ في الرَّجَّافِ

فهذه العادة لا يسمو إليها إلا أصحاب الهمم العالية، والأخلاق الحميدة، وهي من التكافل الاجتماعي المحمود..

ومن الأمثلة على حب الخير ما روي عن أكثم بن صيفي أنه قام يدعو إلى هذه الخصلة بقوله: «الدال على الخير كفاعله، والجزاء بالجزاء، والبادئ أظلم»[٣٢].

وقيل لقيس بن عاصم: بم سَوَّدك قومك؟ قال: «بكفّ الأذى وبذل الندى، ونصر المولى»[٣٣].

وبرز في أيام العرب من يدعو إلى الخير والوئام، وإلى وقف المعارك قبل نشوبها، ففي يوم ظهر الدهناء كان أوس بن حارثة الطائي سيدًا مطاعًا في قومه، وجوادًا مقدامًا، وقورًا داعيًا إلى الخير، آخذًا بالأسباب المؤدية إليه، فيه أدب جم، ونكران

---

[٣٠] ابن هشام: السيرة النبوية (١/١٥٠-١٥١).

[٣١] ابن هشام: السيرة النبوية، ولسان العرب، مادة (رجف) (٩/١١٤) تناوحت: تقابلت. الرجاف: البحر.

[٣٢] السجستاني: المعمرون والوصايا، ص١٨.

[٣٣] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين ورفاقه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ط٢، (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ج٢، ص٢٨٦.

www.mtenback.com

للذات، وإيثار لغيره بما هو أحق به. روي أنه وفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند، فدعا عمرو أوسًا فقال له: «أنت أفضل أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن؛ إن حاتمًا أوحدها، وأنا أحدها، ولو ملكني حاتم وولدي ولُحْمَتي لوهَبَنَا في غداةٍ واحدة، ثم دعا عمرو حاتمًا فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن، إنما ذكرت أوسًا ولأَحَدُ ولده أفضل مني، فاستحسن ذلك منهما وحباهما وأكرمهما»[٣٤].

ثم إن وفود العرب من كل حيٍّ اجتمعت بعد ذلك عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس، فدعا بحلة من حلل الملوك، وقال للوفود: احضروا في غدٍ، فإني ملبسٌ هذه الحلة أكرمكم.

فلما كان الغد حضر القوم جميعًا إلا أوسًا، فقيل له: لِمَ تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيري، فأجمل الأشياء بي ألا أكون حاضرًا، وإن كنت المراد فسأُطْلَبُ.

فلما جلس النعمان و لم يرَ أوسًا قال: اذهبوا إلى أوسٍ فقولوا له: احضر آمنًا مما خِفتَ، فحضر فأُلبِسَ الحُلّة. فحسده قومٌ من أهله، فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة. فقال: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثًا ولا مالاً إلا منه؟!!.

ثم قال:

كَيْفَ الهِجَاءُ وَمَـا تَنْفَـكُ صَالِحَـةٌ ... مِنْ أَهْلِ لأَمٍ بِظَهْرِ الغَيْـبِ تَـأتِيْنِي

ويُروى أن بشر بن أبي خازم قد تطوع بهجائه طمعًا في النوق، فهجاه وهجا أمه سعدى مما أدى إلى وقعة يوم الدهناء المشهورة، وفر بعدها بشر إلى أن ظفر به أوس، فجاء به إلى أمه سُعدى وقال لها: قد أتيتك بالشاعر الذي هجاكِ، وقد آليت لأقتلنه قِتْلَةً تَحْيِيْنَ بها!!، قالت: يا بني أوخيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قالت: إنه لم يجد له ناصرًا منك، ولا مجيرًا عليك، وإنا قومٌ لا نرى في اصطناع المعروف من بأس؛

[٣٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد،، ج٢، ص٢٨٦-٢٨٧.

www.mtenback.com

فبحقي عليك إلا أطلقته ورددت عليه إبله، وأعطيته من مالك مثل ذلك، ومن مالي مثله، وأرجعه إلى أهله سالمًا، فإنهم أيسوا منه، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه.

فقبل ما أشارت به وخرج إليه، وقال: يا بشر ما تقول إني فاعلٌ بك؟ فقال:

وإنّي لأَرْجُو منْكَ يَاأَوْسُ نِعْمَةً ... وَإِنّي لأخْرَى منْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ

وَإِنّي لأَمْحُو بِالَّذِي أَنَا صَادِقٌ ... بِهِ كُلَّ مَا قَدْ قُلْتُ إِذْ أَنَا كَاذِبُ

فَهَلْ نَافِعِي فِي اليَومِ عِنْدَكَ أَنَّنِي ... سَأَشْكُرُ إِنْ أَنْعَمْتَ وَالشُّكْرُ وَاجِبُ

فِدًى لابْنِ سُعْدَى اليْومَ كُلُّ عَشِيْرَتِي ... بَنِي أَسَدٍ أَقْصَاهُمُ وَالأَقَارِبُ

تَدَارَكَنِي أَوْسُ بنُ سُعْدى بِنِعْمَةٍ ... وَقَدْ أَمْكَنَتْهُ مِنْ يَدَيَّ العَوَاقِبُ

فقال أوسٌ: إن سُعدى التي هجوتها قد أشارت بكذا وكذا، وأمر بحل كتافه، وحمله على فرسٍ جواد، وردّ عليه ما كان أخذ منه، وأعطاه من ماله مائةً من الإبل، فرفع بشرٌ يده إلى السماء وقال: اللهم أنت الشاهدُ على ألا أعود إلى شعرٍ إلا أن يكون مدحًا في أوس بن حارثة[٣٥].

وعند الوقوف على هذه الحادثة وتأمل ما فيها من مواقف نجد أن أوسًا ذو معدنٍ جبل على حب الخير والعفو والصفح، حيث يتضح من خلال أحداث القصة بذله وسعيه وإنفاقه، حتى استحق ذلك الموقف الرافض لهجائه وهو أهل المعروف من قبل الحطيئة الذي عُرف بالإسراف في الهجاء حتى هجا نفسه.

ولم يكن حب أوس للخير غريبًا إذ نجد أمه التي ربته تفيض بهذه الفضيلة، وتقف موقفًا مشرّفًا في ذلك، حين أقسمت على ابنها أن يدع الانتقام ممن هجاه

---

[٣٥] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية (١٩٧٧م)، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧. وانظر: محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، صيدا (١٣٦١هـ) ص١٣٨-١٣٩.

www.mtenback.com

وهجاها، وذلك بعد تمكنه منه، وقدرته عليه، لم تكتف بمجرد الصفح عنه، بل ألحت على ابنها أن يهبه من ماله ومالها ما يغنيه الدهر، ويشعره بالندم والخزي على فعلته.

وفي يوم أوارة الثاني غزا عمرو بن هند بني طيِّئ وأسر منهم سبعين رجلاً، وفيهم قيس بن جحدر، ابن خالة حاتم الطائي، وحاتمٌ يومئذٍ بالحيرة، فلما قدم جعلت المرأة تأتيه بالصبي فتقول: يا حاتم أُسر أبو هذا، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى عمرو، وتشفّع للأسرى، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من رهط عارق، فقال حاتم:

فَكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا مِن إسَارِهَا ... فَأَنْعِمْ وَشَفِّعْنِي بِقَيْسِ بنِ جَحْدَرِ

أَبُوهُ أَبِي وَالأُمَّهَاتُ أُمَّهاتُنَا ... فَأَنْعِمْ فَدَتْكَ اليَومَ نَفْسِي وَمَعْشَرِي

فقَالَ: هو لك يا حاتم[٣٦].

وهذه الشيمة التي تُعد من أعظم شيم العرب تُضاف إلى سجل حاتم الطائي الموصوف بمحبة مكارم الأخلاق، حيث نجده في صورة رائعة يهرع نحو عمرو بن هند دون خوف أو وجل بالرغم من العداوة التي بينهما، فيتشفع في أسرى قومه، وذلك استجابة للثكالى والأيامى اللاتي أتين له في حاجة الملهوف.

وهذه المسارعة لفعل الخير تدل على الحب للفضائل المتمكن من قلب حاتم، وهي التي رفعت من شأنه في التاريخ العربي.

وفي يوم زَبَالَة الذي وقع بين تميم وبكر بن وائل، كان في الأسرى رجل من بني يربوع لم يجد مالاً يفدي به نفسه، فسمعه بسطام بن قيس في الليل يقول:

فِدًى بِوَالِدَةٍ عليَّ شَفِيْقَةٍ ... فَكَأَنَّهَا حَرَضٌ على الأَسْقَامِ

---

(٣٦) ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت)، ص١٩٢-١٩٣.

www.mtenback.com

لَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ فَيَسْكُنَ جَأْشُهَا ... أَنِّي سَقَطْتُ عَلَى الفَتَى المِنعَامِ
إِنَّ الَّذِي تَرْجِينَ ثَمَّ إِيابَهُ ... سَقْطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى بِسْطَامِ
سَقَطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَنَعِّمٍ ... سَمْحِ اليَدَيْنِ مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له: «وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك» وأطلقه[٣٧].

إن من الشيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة أن يسرع بسطام إلى العفو بعد أن عرف حال يربوع من خلال شعره، وهو دليل على الفطرة السليمة التي لا تختزن حقدًا، ولا تحمل غلاً، والتي تتميز بسرعة الفيء بعد الغضب، وبذل المعروف ووضعه في مواضعه.

وقد خلّد التاريخ ذكرى زعيمين من زعماء العرب قبل الإسلام، وهما الحارث ابن عوف وهرم بن سنان، وذلك لسعيهما الدائب في التأليف والإصلاح وإطفاء نار الحرب حقنًا للدماء، فدفعا من مالهما وتحملا الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير، وذلك في يوم داحس والغبراء.

وكان دافعهما إلى ذلك حب الخير للعرب، وإنهاء النزاع الذي طال أمده، والحرب التي لم يسلم بيت من شرها، فكادت تأتي على الأخضر واليابس.

وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى[٣٨]:

سَعَى سَاعِيا غَيظَ بنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ العَشِيرةِ بِالدَّمِ
يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

---

[٣٧] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ص٢٠٦-٢٠٧.

[٣٨] أبو بكر الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٥٢-٢٦٢.

www.mtenback.com

تَدَارَكْتُما عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهُم على خَيْرِ مُوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

ولم ينقطع حب الخير للناس أيام العرب قبل الإسلام حتى في أحلك الظروف، وعند حدوث الوقائع المدمية، وظلت مواقفهم في ذلك تشهد لهم، حيث تضمنت كتب الأدب والتاريخ كثيرًا منها، ففي حرب الفجار مثلاً التي وقعت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الأشهر الحرم، كان عقلاء العرب يتوسطون فيما بين القبائل للشفاعة وحقن الدماء، وكانوا يتحملون دماء القوم ودياتهم كما فعل حرب بن أمية في اليوم الثاني من الحرب، أما في اليوم الثالث فقد أصلح عبد الله بن جدعان بين كنانة وقيس عندما تحاجزا، وأطفأ نار الحرب بينهما.

ومن شعراء العرب الذين كانوا يدعون لفعل الخير أبو اللحام التغلبي، حيث قال[٣٩]:

وَلَيْسَ الفَتَى كَيمَا يَقُولُ لِسَانُه ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ مَعَ القَوْلِ يُوجَدُ

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَه ... مِنَ اليَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُوْنَ لَهُ غَدُ

وَإِنَّكَ لا تَدْرِي بِإِعْطَاءِ سَائِلٍ ... أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيْهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ

وقد أشار الشاعر إلى معنىً نادر هو أن حبَّ الخير وأداء المعروف إلى محتاجيه يعود على فاعله بأثر نفسي إيجابيّ قد يزيد في إبهاجه وإسعاده على مايلقاه السائل نفسه.

---

[٣٩] البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ) ٨/٥٦٠.

www.mtenback.com

وكان لرسول الله ﷺ قبل النبوة دورٌ في هذه الأيام، وذلك قبل البعثة بعشرين سنة، وقد حضر حلف الفضول الذي دعا إليه الزبير بن عبد المطلب في دار عبد الله بن جدعان، وتعاقدوا وتعاهدوا بالله أن يكونوا مع المظلوم.

وربما نعجب من شاعرٍ جاهلي يهجو قومه، وينتقد قبيلته لأنهم يحبون الخير، ويبتعدون عن الشر، وهو قريط بن أنيف، حيث يقول[٤٠]:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ ... سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا

ولعل قريط بن أنيف في شعره هذا رأى أن العفو والتسامح من اللين الذي يجلب الضعف خاصةً إذا كان مع الأعداء، أو مع من بينهم وبين قبيلة الشاعر ثأر وحروب قديمة، ولعله رأى من قومه ذلة وهوانًا دفعهم للتعلل بالتسامح والعفو حتى لا يكلفهم القتال وطلب الثأر ما لا يطيقون.

والشاعر على كل حال يسخر من (التوظيف) الخاطئ لخصال العفو والتسامح، ويلجأ إلى أسلوب فني ممعن في السخرية يدل على ذكائه، في إيصال شعوره بالامتعاض والخيبة من فعل قومه.

ومع أنه في ظاهر كلامه يعترف أو يقر بميل عشيرته لحب الخير للناس، لكنَّ شعور الشاعر بأن الذل وراء موقف قومه وأن تصرفهم ماهو إلا إمعانٌ في التخاذل والانكسار جعله يتكلم بهذا الأسلوب.

---

[٤٠] الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: د. علي المفضل حمودان، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٢م) ج١، ص٣٥٨.

www.mtenback.com

والخير في أي مجتمع لا بد له من دولة ونظام، ولا يمكن أن يقـــام صرحـــه إلا بالقانون الذي يحميه جيش له قائد..

فإذا انتفى النظام وسادت الفوضى حل الشر مكان الخير، وعـــاش النـــاس في اضطراب وبلبلة..

قال الأفوه الأودي يصف مثل هذه الحالة[٤١]:

لاَ يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُـــم ... وَلاَ سَـــرَاةَ إِذَا جُهَّـــالُهُم سَـــــادُوا

تُلفى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحـــتْ ... فَـــإِنْ تَولَّـــتْ فَبِالأَشْـــرَارِ تَنْقَـــــادُ

حَانَ الرَّحِيْلُ إِلى قَـــوْمٍ وَإِنْ بَعُـــدُوا ... فِيْهِـــمْ صَـــلاَحٌ لُمُرْتَـــادٍ وَإِرْشَـــــادُ

وخير حلّ في مثل هذه الحالة التي يسودها الهرج والمرج الرحيل إلى أماكن أكثر أمنًا، وأفضل نظامًا وحكمًا، وذلك لأنها الملاذ الآمن، والموطن الصالح للخير وأهله.

ومن خلال ماعرض من المواقف التي تشهد بحب العرب لأفعال الخير يتبين أنـــه إنما يدفعهم إلى ذلك الشهامة والمروءة، والرفق والرحمة، حتى لكأن العربي في جزيرتـــه ضمت يداه المجد من أطرافه، فهو الشجاع، وهو المتسامح، وهو الغيور عندما يـــرى للغيرة موضعًا على نفسه وعرضه ومن يلوذ بحماه، أدرك العربي في جاهليته الفضيلـــة وصارت طبعه وسمته وعلامة كمال الرجولة الفاضلة والأريحية والشمم عنده.

الإسلام ودعوته لحب الخير:

حث الإسلام على حب الخير، ورغب فيه، وجاء في ذلك آيـــات وأحـــاديث كثيرة دعت إليه، وذكّرت بفضله وأهميته، ولو تتبعناها لوجدناها شملت كل نواحـــي

---

[٤١] ديوان الأفوه الأودي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ص٥١؛ وابن عبد ربه: العقد الفريد، ١١/١. وابن عبد البر القرطبي، يوسف عبد الله: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمـــود محروس الخولي، دار الكتب، بيروت (د.ت) ج١، ص٣٥٢.

www.mtenback.com

الحياة ومجالاتها المختلفة، ولعرفنا أن الأمة المسلمة استحقت بجدارة لقب «أمة الخير»، أو «خير أمة»، وذلك كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٤٢].

وفي مجال الدعوة إلى فعل الخير والترغيب فيه، بل والأمر به قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٤٣].

فهذا الأمر من خصائص الأمة المسلمة، ممّا يحتم على كل فرد فيها القيام بأعبائه، والنهوض للدعوة إليه ونشره في المجتمع بكل مجالاته وفئاته، ولكي تكون الصبغة التي يتميز بها مجتمع الإسلام صبغة الخير حرصت الشريعة على فرضه وإيجابه على كل من يقع تحت طائلة التكليف، واتبعت لذلك شتى السبل، فرغبت ورهبت وحثت وحضت وأمرت ونهت، حتى كانت السمة الغالبة لهذا الدين الدعوة إلى الخير وتطبيق مبادئه.

ورتّب سبحانه وتعالى الفلاح على فعل الخير فقال: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤٤].

وحث على السباق في فعله، والتنافس في كل مجالاته، فقال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٤٥].

---

[٤٢] سورة آل عمران: ١١٠.

[٤٣] سورة آل عمران: ١٠٤.

[٤٤] سورة الحج: ٧٧.

[٤٥] سورة البقرة: ١٤٨.

www.mtenback.com

ووصف المؤمنين بهذه الصفة العظيمة، صفة التنافس في عمل الخير، والسباق فيه فقال عنهم: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[٤٦].

وقال أيضًا: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤٧].

ورتب على فعل الخير الأجر العظيم ورغب فيه فقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٤٨].

وغير ذلك من الآيات التي تحدثت عن هذا المجال الخصب، وبينت فضائله، وفصلت فيه.. ولعل آية النحل التي أمرت بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهت عن الفحشاء والمنكر والبغي هي أجمع آية لخصال الخير في مجال الأمر والوجوب، وأجمع آية في مجال النهي والإنكار، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤٩]. فالقرآن حافل بذكر خصال الخير والحث عليها، وجامع لكل ما فيه خير للناس على مر الأزمان والدهور، ومن ذلك ما جاء على لسان الأنبياء في دعوتهم أقوامهم وتوجيههم لما فيه خيرهم، وما جاء في وصية لقمان عليه السلام لابنه، حيث لم تكد تترك شيئًا من فضائل الخير إلا وتعرضت له، وكذلك قصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين في سورة الكهف، وأصحاب الجنة في سورة القلم.. وغير ذلك.

---

[٤٦] سورة آل عمران: ١١٤.

[٤٧] سورة المؤمنون: ٦١.

[٤٨] سورة المزمل: ٢٠.

[٤٩] سورة النحل: ٩٠.

www.mtenback.com

ويكفينا في الترغيب في فعل الخير والترهيب من فعل الشر قول الحق سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٥٠].

ففي هاتين الآيتين ترغيب بفعل الخير، وأنه لا يضيع حتى لو كان مثقال ذرة، ولا أصغر من الذرة، وترهيب من فعل الشر، لأن صاحبه سيلقى جزاءه حتى لو كان مثقال ذرة.

هذا في القرآن الكريم، أما في السنة النبوية فقد وردت نصوص يصعب إحصاؤها في مجال الخير والدعوة إليه بكل أشكاله وألوانه، والمتتبع لهذه النصوص سيجد عجبًا لما ورد فيها من حث على الخير في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها، وما يتعلق بالفرد ومايتعلق بالمجتمع، وما يخص الرجال وما يخص النساء، وما يعنى بالجوانب الإنسانية، وما يعنى بالحيوان والجماد وغيره، ونعرض في بحثنا هذا بعض هذه النصوص الهامة، والتي منها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[٥١].

فهذا الحديث يبين ضرورة أن يكون المسلم إيجابيًا تجاه إخوانه ومجتمعه، فيحسن إليهم، ويفعل الخير، ويقدم بسخاء، فيكون معطاءً جوادًا سمحًا كريمًا.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «إن لله خلقًا خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[٥٢].

---

[٥٠] سورة الزلزلة: الآيات ٧-٨.

[٥١] البخاري: الصحيح، كتاب المظالم برقم ٢٤٤٢.

[٥٢] المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة، دار الريان للتراث، القاهرة، (١٤٠٧هـ)، ج٣، ص٣٨٩.

www.mtenback.com

ففي هذا الحديث مدح النبي أولئك الذين تفرغوا لقضاء حوائج الناس، و لم تثقلهم أشغالهم وأعمالهم وشؤون دنياهم عن تتبع أحوال المسلمين لمعرفة ما يمكن أن يقدموه من خدمات، فيسارعون إلى المساعدة وقضاء الحوائج.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرًا، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام»[٥٣].

وفي الحديث أيضًا: «إن الخير لا يأتي إلا بالخير»[٥٤]. ومما ورد في الدعوة إلى الخير قول الرسول ﷺ: «من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله»[٥٥].

هذه بعض الأحاديث النبوية في الحث على الخير والمواساة وإغاثة الملهوف، وعون المحتاج وهي أعمدة وأسس قام عليها الإسلام، ونهض بها المسلمون وحققوها ونقلوها واقعًا حيًا في كل العصور..

ومما ورد على لسان علي رضي الله عنه في الدعوة لفعل الخير كلمات جامعة، تدعو لفعل الخير صغيرًا كان أو كبيرًا، حيث قال: «افعلوا الخير، ولا تحقروا منه شيئًا، فإن صغيره كبيرٌ، وقليله كثيرٌ، ولا يقول أحد منكم إن أحدًا أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك، إن للخير والشر أهلاً، فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله»[٥٦].

---

[٥٣] رواه أحمد: مسنده ، رقم (١٧٢١٢) ص١٢٣٠.

[٥٤] رواه أحمد: مسنده، رقم (١١٠٤٩) ص٧٨٠.

[٥٥] أحمد: المسند، رقم (١٧٢١٢) ص ١٢٣٠.

[٥٦] محمد عبده: نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت) ص٧٧٦.

www.mtenback.com

يقول السباعي: «ينادي الإسلام بالدعوة إلى الخير نداء تنهزم معه في النفس الإنسانية بواعث الشح ووسوسة الشيطان في التخويف من الفقر، فيقول القرآن بعد الحث على الإنفاق: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٧).

ويعمم الدعوة إلى الخير على كل مقتدر، بل كل إنسان، فقيراً كان أو غنيًا، أما الغني فيفعل الخير بماله وجاهه، وأما الفقير فيفعل الخير بيده وقلبه ولسانه وعمله، ولن تجد في الإسلام إنسانًا لا يستطيع أن يجود في ميادين البر والخير، ولقد كان مما شكاه الفقراء إلى النبي أن الأغنياء يسبقونهم في فعل الخير إذ يتصدقون بأموالهم، ولا يجد هؤلاء الفقراء ما يتصدقون به، فبين لهم الرسول عليه السلام أن فعل الخير ليست وسيلته المال فحسب، بل كل نفع للناس هو من عمل الخير: «على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة»(٥٨).

وفي معناه أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(٥٩).

وهكذا يفتح الإسلام أبواب الخير للناس جميعًا، حتى ليستطيع أن يفعله العامل والتاجر والفلاح، والتلميذ والأستاذ، والمرأة، والعاجز والشيخ الكبير، والأعمى

---

(٥٧) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٥٨) رواه البخاري ٢٩٨٩.

(٥٩) رواه مسلم، زكاة ٥٥، حديث رقم ٢٣٣٣.

www.mtenback.com

والمقعد، من غير أن تحول ظروفهم الاقتصادية دون الإسهام في إشاعة البر والخير في المجتمع.

ثم انظر كيف يخاطب الإسلام النفس الإنسانية بعد ذلك بما يحبب إليها البر والخير عن طريق ذكر الفائدة الشخصية التي تعود على النفس الخيرة المعطية، إنه يخاطب كل إنسان بأن فعل الخير يعود نفعه لمن يفعله قبل كل شيء، فهو الذي ينتفع بالخير ثوابًا وحبًا وثناءً وخلودًا عند الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾[٦٠]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[٦١].

لا جرم أن هذا الأسلوب له أثره في النفس الإنسانية، فيسخو البخيل، ويعطي الشحيح، ويحل التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع[٦٢].

وقد غير الإسلام بعض المفاهيم لدى الناس حتى صار عمل الخير نعمة عظيمة ييسرها الله تعالى لمن أحب من عباده، كما قال علي بن الغرير الغنوي[٦٣]:

وَإِذَا سُئِلْتَ الخَيْرَ فَاعْلَم أَنَّهُ ... نِعَمٌ تُخَصُّ بِهَا مِنَ الرَّحْمَنِ

وجاء في الأمثال: «خير الناس من فرّح الناس بالخير»[٦٤] و«الدال على الخير كفاعله»[٦٥]. و«من يفعل الخير يجد الخير»[٦٦]، وأكثر هذه الأمثال إنما هي نابعة من تعاليم الإسلام.

---

[٦٠] سورة البقرة: ٢٧٢.

[٦١] سورة فصلت: ٤٦.

[٦٢] انظر: السباعي: من روائع حضارتنا، ص١٢٣-١٢٥.

[٦٣] المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، (١٩٦٠م)، ص١٣١.

[٦٤] الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ج١، ص٢٦٣.

[٦٥] السجستاني: المعمرون والوصايا، ص ١٨.

[٦٦] العسكري، أبو هلال: جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم وزميله، القاهرة، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ٦٨/١.

www.mtenback.com

سيرة الرسول ﷺ في حب الخير:

لم تشهد الدنيا شخصية أكثر محبة للخير من شخصية النبي الكريم محمد ﷺ، ولم تعرف البشرية رجلاً تمثل الخير في واقعه كله مثله في سيرته الحافلة بالمواقف الحية، ففي شمائله صورة دقيقة تدل على حرصه على غرس المحبة في نفوس الناس، وإشاعتها بينهم ونفي الأحقاد ونبذ الشر من نفوسهم، كما كان عليه السلام يضرب القدوة الحسنة في السلوك كله، فقد كان يصل الرحم، ويحمل الكَلّ، ويكسب المعدوم، ويرحم اليتيم، ويعطف على المسكين، ويعين ذا الحاجة الملهوف، ويسلم على الصبيان، ويمضي مع الجارية الصغيرة لقضاء حوائجها، ويزور الضعفاء، ويعود مرضاهم، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وحث على مثل هذه الأفعال في أحاديث كثيرة منها حديث الصدقة على النفس حيث جاء فيه: «..وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة على نفسك»[٦٧].

قال كعب بن زهير في الرسول ﷺ[٦٨]:

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا ... بِالبُرْدِ كَالبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ

وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءِ رَيطَتِهِ ... مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٦٩].

---

[٦٧] أحمد: المسند ٥/١٦٨-١٦٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٠٣٨.

[٦٨] كعب بن زهير: ديوان كعب بن زهير، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ)، ص٩٢.

[٦٩] سورة الأنبياء: ١٠٧.

www.mtenback.com

كان ﷺ كما وصفته عائشة رضي الله عنها خلقه القرآن، وبعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق، ولا أدل على كمال أخلاقه من موقفه من قومه الذين كانوا لا يدعون وسيلة فيها أذى له إلا اتبعوها، ومع ذلك لم يدع عليهم، ولم يتمن لهم إلا الهداية، حيث كان يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[٧٠].

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[٧١]، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا، فلقد وُطئ ظهرك، وأُدمي وجهك، وكُسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيرًا، فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٧٢].

وكان رحيمًا جدًا بالصغار، حيث وردت في ذلك أحاديث منها ما رواه أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟

وكذلك كان النبي مع عبيده وإمائه، ما ضرب منهم أحدًا قط، وفي رواية مسلم: ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله. وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله إذا خلا في بيته؟ قالت: ألين الناس، بسامًا، ضحاكًا، لم ير قط مادًا رجليه بين أصحابه[٧٣].

---

[٧٠] الخُضري، محمد سليم: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق: نايف العباس وزميله، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، (١٤٠٢هـ)، ص٧٧.

[٧١] سورة نوح: ٢٦.

[٧٢] القسطلاني، أحمد بن محمد: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩١م) (٣٣٢/٢).

[٧٣] القسطلاني: المواهب اللدنية (٣٤١/٢).

www.mtenback.com

قال يحيى بن منصور يمدح النبي ﷺ [٧٤]:

مُحَمَّدُ المبْعُوثُ للنَّاسِ رَحْمَةً يُشَيِّدُ مَا أَوْهَى الضَّلاَلُ ويُصْلِحُ

وكان عليه السلام يحب المساكين ويعطف عليهم، ويدعو إلى الاهتمام بهم، وعدم ردهم..

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة، فقالت عائشة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، يا عائشة لا تردّي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبّي المساكين وقرّبيهم فإن الله يقرّبك يوم القيامة»[٧٥].

وفي يوم حنين قسم الغنائم بين المسلمين حتى لم يبق شيء، ثم قال: «لو كان لي عدد هذه العِضاه نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا»[٧٦].

وفي الحديث عن صفة رسول الله في التوراة قال: ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر[٧٧].

هذا جزء يسير من سيرة النبي ﷺ الذي أحب الخير للعالم كله وقد حض ورغب في فعله، وبنى مجتمعًا خيّرًا لم يعرف الدهر مثله.

---

[٧٤] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: شمائل الرسول ودلائل نبوته تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ) ص٦٢٨.

[٧٥] رواه الترمذي رقم ٢٣٥٢، وانظر ابن كثير، شمائل الرسول ص١٠٥.

[٧٦] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ٢٤، ج٣، ص٣٠٩.

[٧٧] رواه البخاري، بيوع ٥٠، حديث ٢١٢٥. وانظر: ابن كثير، شمائل الرسول ص١٣١. والسخب والصخب بمعنى الصياح، والصاد والسين يجوزان في كل كلمة فيها خاء، ابن منظور: لسان العرب مادة سخب.

www.mtenback.com

إنه رسول الله الذي قالت فيه خديجة رضي الله عنها - عندما جاءه الوحي: «أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٧٨].

المرأة وعاطفة حب الخير:

تشغل المرأة جانبًا مهمًا في أعمال الخير المختلفة، والمشاركة في مشاريع وإسهامات خيرية تعود بالنفع على المجتمع، وربما تنجز في بعض مجالات الخير ما لا يستطيع الرجل إنجازه بالشكل الذي تحققه على المستوى الفردي والاجتماعي، كالتمريض، والتعليم والتوجيه النسائي، وتفعيل مشاريع نسائية محضة كطبق الخير، وحضانة ورعاية الأيتام الصغار، وغيرها.

والمرأة بطبعها ذات نزوع عاطفي أكثر من الرجل، ويمكنها الإسهام بشكل فعال في مساعدة الآخرين والبذل من أجل المحتاجين، وذلك لتأثيرها العاطفي على الرجل وحثه على الإحسان والكرم والجود.

وسهلٌ على المرأة أن تتخلى عن كثير من المتاع ابتغاء الأجر والثواب والمغفرة، وذلك لما جبلت عليه من الرقة والعطف والحنان، ولحرصها الفطري على الخير، ففي حديث جابر رضي الله عنه قال رسول الله: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم، فقالت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير، فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وقِرَطَتَهُنّ وخواتيمهن يقذفن به في ثوب بلال يتصدقن به»[٧٩].

---

[٧٨] سيد الناس، محمد: عيون الأثر، تحقيق: محمد العيد الخطراوي وزميله، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط١، (١٤١٣هـ) ١٦٩/١، وروى البخاري نحوه، بدء الوحي ٣.

[٧٩] أحمد: المسند، رقم (١٤٤٧٣)، ص١٠٠٨.

www.mtenback.com

فمبادرة النساء واستجابتهن لنداء رسول الله بالصدقة دليلٌ على حرص المرأة على الخير، وقدرتها على البذل..

والشح في نساء العرب قليل، وإمساكهن المال وتنميته أمرٌ نادر، وبالتالي نجد أن الجود سمة لهن إن وجدن من يؤثّر فيهن ويدعوهن لذلك.

والمرأة قادرة على تربية أبنائها على حب الخير وتزرع ذلك في نفوسهم، وتحثهم على المشاركة الفعالة لدعم المشاريع الخيرية، والإسهام ولو بالقليل عن طريق الاقتطاع من مصروفهم اليومي أو الأسبوعي أو الشهري لبذله في سبل الخير، ويمكنها صنع صندوق للادخار الخيري، تضع فيه وأبناؤها ما يقتطعونه لتقديمه بعد مدة إلى الجهات والجمعيات الخيرية لدعم مشروع معين.

ويمكن الاستفادة كثيراً من دور المرأة وإمكاناتها في مشروع كفالة اليتيم إذا وجدت التوجيه المناسب، وهيئت لها الأجواء المادية والمعنوية المطلوبة.

ولو تأملنا تاريخنا لوجدنا نماذج نسائية كثيرة أسهمت في أعمال الخير، ووقفت مواقف مشرفة تعدّ قدوة لنسائنا في العمل الخيري..

فقد كانت زينب بنت جحش زوج رسول الله كثيرة الخير والصدقة، وكانت امرأة صناع اليد، تعمل بيدها وتتصدق في سبيل الله. أرسل إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه اثني عشر ألف درهم، كما فرض لنساء النبي ﷺ، فأخذتها وفرقتها في ذوي قرابتها وأيتامها، ثم قالت: «اللهم لا يدركني عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا» فماتت وصلى عليها عمر رضي الله عنها وعنه [٨٠].

---

[٨٠] ابن الأثير، عز الدين الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وزميله دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ) ١٢٨/٧.

www.mtenback.com

ومن الأمثلة على ذلك أم سنان الأسلمية التي جاءت إلى النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى خيبر فقالت له: يا رسول الله، أخرج معك في وجهك هذا، أَخْرِزُ[٨١] السقاء، وأداوي المرضى والجرحى، إن كانت جراح، وإلا تكن فأنصر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: اخرجي على بركة الله تعالى، فإن لك صواحب قد كلمني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم، فإن شئت فمع قومك، وإن شئت معنا، فقالت أم سنان: معك، فقال رسول الله ﷺ: «تكوني مع أم سلمة زوجتي» فكانت معها وشهدت فتح خيبر، وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ الجمعة والعيدين[٨٢].

ومن هؤلاء النساء زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد حيث أسهمت في مشروعات كثيرة وتركت آثارًا جليلة انتفع بها العالم خير انتفاع، مثل سقيها أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال بين الجبال وتحت الصخر حتى أوصلته إلى الحرم، ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر، وعرفت هذه العين بعين زبيدة، وكان جملة ما أنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ووصف اليافعي في القرن الثامن للهجرة تلك العين فقال: «إن آثارها باقية ومشتملة على عمارة عظيمة عجيبة، مما يتنزه برؤيتها على يمين الذاهب إلى منى من مكة، ذات بنيان محكم في الجبال، تقصر العبارة عن وصف حسنه، وينزل الماء منه إلى موضع تحت الأرض، عميق ذي درج كثيرة جدًا، لا يوصل إلى قراره إلا بهبوط كالبئر، يفزع بعض الناس إذا نزل فيه وحده نهارًا فضلاً عن الليل».

وبلغت نفقاتها في بعض حجاتها ألف ألف دينار، وبلغت نفقتها في ستين يومًا أربعة وخمسين ألف ألف درهم.

---

[٨١] أَخْرِزُ: أخيط.

[٨٢] انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ) (٤١٢/٨) وانظر عنها عمر رضا كحالة: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، (١٤١٢هـ)، ٢٦٣/٢٦٢/٢.

www.mtenback.com

فرفع إليها وكيلها مرة حساب النفقة، فنهته عن ذلك وقالت: ثواب الله بغير حساب[٨٣].

وتحدثنا كتب التاريخ عن نماذج من نساء مسلمات أنشأن المدارس والأربطة وأوقفن الأوقاف كفاطمة بنت محمد الفهري التي وسعت جامع القرويين ليصبح أقدم جامعة إسلامية، وكصولة النساء الهندية التي أنشأت المدرسة الصولتية في مكة المكرمة في العصر الحديث، ولهن نظائر كثيرات قديمًا وحديثًا دفعهن فعل الخير إلى أعمال خيرية دائمة. إن للمرأة قدرات خاصة على فعل أنواع الخير، وهي اليوم بحاجة ماسة إلى من يهتم بها ويستفيد من طاقتها في هذا المجال لتقدم ما عندها، وتساهم في نشر العمل الخيري وزرع محبته في قلوب أبناء المجتمع، حتى يكون لها مكانها الذي احتلته في عهد العرب الأول يوم كانت المرأة العربية تنهض بأعباء التربية والرعاية والحث على مكارم الأخلاق، وكانت مشاركة في الخير داعية إليه زوجها ووالدها وأبناءها، مهتمة بفضائل الأعمال وحاثة عليها.

إن المرأة العربية اليوم لا تقل عن أختها في عصر صدر الإسلام، إلا أن الظروف التي وضعت فيها وأحيطت بها أضعفت مكانتها، وحرمت المجتمع من مشاركتها في فضائل الأعمال.

من أبواب حب الخير:

الشفاعة الحسنة[٨٤]:

إن من علامات حب الخير للناس بذل الوقت والجهد من أجلهم، والسعي في حوائجهم، ومن ذلك الشفاعة لذوي الحاجات لتحقيق مآربهم، وهذه الخصلة من خصال حب الخير كانت وما زالت شائعة في العرب ومن أخلاقهم، وهي من شيمهم

---

[٨٣] انظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء (٢/٢٧).

[٨٤] نقتصر في هذا الموضوع على هذه النبذة نظرًا لوجود جزء من هذه الموسوعة مخصص للشفاعة.

www.mtenback.com

قديمًا وحديثًا، وتحكي لنا كتب التاريخ والسيرة الكثير من المواقف في الشفاعة والسعي في حوائج الناس لقضائها.

فقد يقع الإنسان في شبهة أو مشكلة تعرضه للعقوبة عند حاكم أو لدى رئيس في العمل، وقد يكون بريئًا من الذنب ، فمن الخير أن يُشفع له عند من تنفع شفاعته، فيكون له بذلك ثواب إنقاذه من العقوبة، وربما أخطأ الإنسان خطأً يسيرًا لا يترتب عليه حدّ، وندم على ذلك الخطأ ورجا العفو، فمن الرحمة أن يبذل أصحاب المعروف الشفاعة له عند من ينقذه منه، ومن أمثلة ذلك شفاعة الحر بن قيس لعمه عيينة بن حصن عند عمر بن الخطاب لما أغضبه بقوله: «هِيْ يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل» وكان الحر من المقربين لأمير المؤمنين، فقال له إذ بدت أمارات الغضب على وجهه: إن الله قال لنبيه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٨٥]، وإن هذا من الجاهلين، يعني عمه عيينة، فعفا عنه عمر[٨٦].

ومثل هذه الشفاعة يحتاجها الناس في كل زمان ومكان، لكثرة العثرات التي تحدث في المجالس، وفي أثناء العمل، وفي الأسواق والطرقات، وفي المحافل العامة، مما يستوجب النخوة للإصلاح بين المتنازعين، والشفاعة للمحتاجين، لتحقيق خدمات تجلب نفعًا أو تدفع مضرة عن كثير من الناس من ذوي الحاجات، وأصحاب المآزق والمشكلات.

ومن الشفاعة الحسنة الشفاعة للقاتل عند أولياء المقتول لرفع القصاص عنه والقبول بالدية، بشرط إظهار القاتل توبته وندمه، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[٨٧].

---

[٨٥] سورة الأعراف: ١٩٩.

[٨٦] الأبشيهي: المستطرف، (١/٥٩٣-٥٩٤).

[٨٧] سورة البقرة: ١٧٨.

www.mtenback.com

وصاحب الشفاعة له أجر عند الله؛ لأنه جلب الخير للناس، وردّ لهم حقوقًا كادت أن تضيع، وأنقذ من أوشك أن يقع في عالم الشر، فأخذ بيده إلى بر الأمان، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾[٨٨].

وقد حث الرسول ﷺ على الشفاعة، ورتب الأجر على القيام بها؛ لأنها من الأمور التي تساعد على الخير، وكان يحث جلساءه عليها لطالبي الحاجة منه تدريبًا لهم على فعل هذه المنقبة العظيمة.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»[٨٩].

وكان يقال: «بذل الجاه زكاة الشرف» .

أي السعي بالجاه لنصرة الضعيف، وقضاء حوائج الناس، وتيسير أمورهم فيما يرضي الله سبحانه. والسعي من أجل قضاء حوائج الآخرين معروف ينبغي شكره، ولا ينكر المعروف إلا لئيم، وذلك لأن الشافع يضحي بوقته وجاهه وبماله أحيانًا من أجل المشفوع له، وهذا من أفضل أعمال الخير وأنبلها، فينبغي حفظ مثل هذا المعروف لصاحبه، والإقرار به، وشكره لأن من لم يشكر الناس على معروفهم لم يشكر الله عز وجل.

قال بعض الشعراء[٩٠]:

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَى لَكَ الجُهْدَ كُلَّهُ وَإِنْ لَمْ تَنَلْ نُجْحًا فَقَدَ وَجَبَ الشُّكْرُ

---

[٨٨] سورة النساء: ٨٥.

[٨٩] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ٢١، ج٢، ص١١٨.

[٩٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٧٩/٣.

www.mtenback.com

وقال آخر[٩١]:

وإِذَا امْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنِيْعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

ويدخل في موضوع الشفاعة إصلاح ذات البين، وهو من أجل أبواب الشفاعة وحب الخير للناس، وهو خصلة من خصال الخلق القويم، ويعود فضلها على المجتمع بعمومه، ولأنه لا يكاد يخلو مجتمع من المشاحنات والعداوات، وربما الحروب والثارات، فالذين يحبون الخير لأبناء مجتمعهم يسعون إلى الصلح ورأب الصدع والتوفيق بين المتنازعين، وذلك يدفعهم في كثيرٍ من الأحيان إلى بذل أموال وجهود عظيمة، وكثيراً ما يضطرون لطلب الشفاعة والسعي من أجل إطفاء نار العداوات والحروب والثارات.

وهذه الخصلة عرفها العرب قديمًا قبل الإسلام، حيث كثرت الحروب والمنازعات، وكانت في الغالب تنتهي بإبرام الصلح وعقده بين القبائل بسعي المصلحين وشفاعة الشافعين، كما فعل هرم بن سنان ومالك بن عوف في إخماد نار الحرب بين عبس وذبيان، فتكفلا بدفع الديات وإنهاء هذه المأساة.

وكان المصلحون ينتهزون أسواق العرب، كسوق عكاظ وذي المجنة ومجاز، للصلح بين القبائل، وبث الآراء الإصلاحية في الناس، وغالبًا ما كانت آراؤهم تحظى بالقبول، فتنتهي الخلافات ويعود الوئام.

وكانت سيرة النبي ﷺ حافلة بمواقف الإصلاح والتوفيق بين المتنازعين، وحث على ذلك في كثير من الأحاديث الشريفة، كما تمثلها الصحابة واقعًا حيًا في حياتهم.

ومن ذلك ما حدَّث به سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصدقة صدقة اللسان» قيل: يا رسول الله، وما صدقة اللسان؟ قال: «الشفاعة

---

[٩١] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ١٣٧/٣.

www.mtenback.com

تفك بها الأسير،وتحقن بها الدم، وتَجُر بها المعروف إلى أخيك، وتدفع عنه بها كريهة»[٩٢].

ويدخل في باب الشفاعة طلب الستر على الآخرين، فالستر إن كان من خطأ يسير، ولا ضرر فيه على المجتمع، ولا ضياع لحقوق الناس، فمن الخير أن يُستر على المذنب، ولا تشاع خطيئته، ويندب للشافع أن يطلب من صاحب الحق ذلك.

حكي أن رجلاً زوّر ورقة عن خط الفضل بن الربيع، تتضمن أمرًا لوكيله بصرف ألف دينار لحامل الورقة، ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل، فأراد أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر، ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة، فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل، فرآه وقد كاد يموت من الوجل والخجل، فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدري لِمَ أتيتك في هذا الوقت؟ قال: لا، قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال، وناوله الرجل، فصار متحيرًا في أمره، فالتفت إليه الفضل وقال: طب نفسًا، وامض في سبيلك آمنًا على نفسك، فقبل الرجل يد الفضل وقال له: سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة، ثم أخذ المال ومضى[٩٣].

---

[٩٢] العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، (١٣٥١هـ)، ج١، ص١٥٣، برقم ٤٥٥ وأورد له شاهد من حديث آخر.

[٩٣] الأبشيهي: المستطرف ٥٩٤/١.

www.mtenback.com

الإيثار[٩٤]:

ويهمنا في هذا الباب الدرجة الأولى منه، وهي أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينًا كما قال ابن القيم[٩٥]، لأنها مثار بحثنا في مجال حب الخير للآخرين.. فمن الواجب على الإنسان تجاه أخيه أن يحب له ما يحبه لنفسه، وذلك أدعى لنفي الأنانية والأثرة، ومن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ درجة الصلاح، واستطاع تقويم نفسه وتهذيبها بتنقيتها من أمراض الحرص والشح..

وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس ما يحبه لنفسه، وحتى يحب المرء لا يحبه إلا لله»[٩٦].

وامتدح النبي ﷺ الأشعريين لأنهم تمثلوا هذه الصفة، وكانوا يحبون الخير ويتعاونون عليه، ويحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، فقال: «إن الأشعريين إذا أرملوا - نفدت أزوادهم - في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[٩٧].

وقال علي بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن: «يا بني، اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تُحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك»[٩٨].

---

[٩٤] نكتفي بهذه النبذة المختصرة لوجود جزء من هذه الموسوعة مخصص للإيثار.

[٩٥] الأبشيهي: المستطرف ٥٩٤/١؛ انظر: سيد حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة، ٦٣٤/٢.

[٩٦] أحمد: المسند، رقم (١٣٩١١) ص٩٧٣.

[٩٧] أخرجه مسلم، فضائل الصحابة ١٦٧، رقم ٦٤٠٨.

[٩٨] محمد عبده: نهج البلاغة (ط١: ١٩٣٨) (١٨/٢).

www.mtenback.com

ومحبة الخير للناس بهذه الصورة درجة تقود لبلوغ مرتبة الإيثار التي تُعَدُّ درجة أعلى من درجة محبة الخير للناس كمحبته للنفس، وهذه لا يبلغها إلا قليل من الناس، إذ فيها تقديم الآخرين على النفس في الخير..

والإيثار أعلى مراتب الجود والإحسان والسخاء، ويتمثل تقديم حاجة الآخرين على حاجات المرء نفسه، كأن يطعم المحتاج وهو جائع، أو أن يعرى ليكسوه، أو يظمأ ليسقيه.

ونماذج الإيثار وأمثلته كثيرة جدًا، يحسن بنا الوقوف على بعضها:

عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي: «أعطها إياه بنخلة في الجنة» فأبى، وأتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل. قال: فأتى النبي فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فجعلها له، فقال رسول الله: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة مرارًا، فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط، فإني بعته بنخلة في الجنة، فقالت: قد ربحت البيع. أو كلمة نحوها»[٩٩].

وهذه الصفة كانت في الأنصار عامة، حيث امتدحهم القرآن بها،فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٠٠].

ويروى في سبب نزول هذه الآية «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئًا فقال: ألا رجلٌ يضيفه هذه

---

[٩٩] أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي النضر، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

[١٠٠] سورة الحشر: ٩.

www.mtenback.com

الليلة يرحمه الله، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ، لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة فنزلت الآية. وعن ابن عمر رضي الله عنهما -قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك فنزلت الآية[١٠١].

والأنصار إنما استحقوا هذا الثناء لما كان منهم عند استقبال المهاجرين، حيث قاسموهم أموالهم وديارهم، وبذلوا لهم كل ما يستطيعونه من بذل، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن المؤمنين الذين اشتهروا بهذه الخصلة من خصال الخير، جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كان يلقب بأبي المساكين لعطفه عليهم وإحسانه إليهم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء، فيشقها، فنلعق ما فيها»[١٠٢].

ومن الإيثار ما حكي عن حذيفة العدوي أنه قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به بين القتلى، فقلت له: أسقيك، فأشار إليّ أن نعم، فإذا برجل يقول آه، فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه وأسقه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك، فأشار إليّ أن

---

[١٠١] السيوطي، أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين، المكتبة الحديثة، دمشق، (د.ت) ص٧٢٨-٧٢٩.

[١٠٢] صحيح البخاري، حديث رقم (٣٧٠٨).

www.mtenback.com

نعم، فسمع آخر يقول آه، فأشار إليّ أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات [١٠٣].

هكذا كانوا، وهكذا صاروا قدوة لغيرهم، وهكذا سادوا وسموا وارتقوا أعلى القمم!!

مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم:

حب مساعدة الآخرين فطرة مزروعة في النفوس، ومنغرسة في سويدائها، لكنها أحيانًا تظل خامدةً مختزنةً نتيجة فقدان البواعث، أو كسل صاحبها وضعف همته، وأحيانًا أخرى تتحول طاقةً جبارة مصلحة تبحث عن مجالات الخير لتضع بصماتها عليها، وتصنع معروفًا يبقى أثره آمادًا وأجيالاً..

في هذا المجال نجد أن النبي ﷺ قد حث على فعل الخير بمختلف الصور، وشتى الألوان، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشاد الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[١٠٤].

وقضاء حوائج الناس من أهم صور فعل الخير، ومن أفضل الأعمال الخيرية في المجتمع، وهي سمة لأهل الصلاح والخير..

قال أسماء بن خارجة: «ما أحب أن أرد أحدًا عن حاجة؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريمًا فأصونه، أو لئيمًا فأصون منه نفسي»[١٠٥].

---

[١٠٣] الأبشيهي: المستطرف (٤٨١/١)

[١٠٤] الترمذي: السنن ، البر والصلة، حديث رقم (١٨٧٩).

[١٠٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد (١٤١/٣).

www.mtenback.com

وقال الحسن بن علي: «لأن أقضي حاجةً لأخٍ أحب إليّ من أن أعتكف سنة»[١٠٦].

وفعل الخير يحتاج لجهاد نفس، واستنفار عزيمة، وإيقاظ همة، لأنه جهدٌ وقول وعمل، والساعي للخير يبذل ماله ووقته من أجل الآخرين..

وقيل في أمثال العرب: «إن خيراً من الخير فاعله، وإن شراً من الشر فاعله»[١٠٧]. ففاعل الخير هو خير من الخير.

قال الأحنف بن قيس بخراسان: «يا بني تميم تحابوا تجتمع كلمتكم، وتباذلوا تعتدل أموركم،وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم»[١٠٨].

ومن مجالات مساعدة الآخرين العطف على اليتيم، والإحسان إليه، وقد حث الإسلام على ذلك، ووردت نصوص كثيرة تبين فضل كفالة اليتيم ورعايته، منها ما يلي: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[١٠٩]. وقال أيضاً: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[١١٠].

وقد قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئًا»[١١١].

---

[١٠٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١٧٦/٣).

[١٠٧] الميداني: مجمع الأمثال (٥٨/١).

[١٠٨] الجاحظ: البيان والتبيين (٩٣/٢).

[١٠٩] سورة الضحى: الآيات ٩-١٠.

[١١٠] سورة البقرة: ٢٢٠.

[١١١] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، برقم ٥٣٠٤.

www.mtenback.com

هذه جملة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في الحث على كفالة اليتيم والعطف عليه، وإكرامه والإحسان إليه، حيث يترتب على ذلك الأجر والثواب الجزيل، وهذا الباب من أهم أبواب الخير في التكافل الاجتماعي، والترابط الإنساني، وفيه سد ثغرة، وعلاج مشكلة، وحماية أسرٍ بائسة من غوائل الفقر والجوع والهم.

إن الرحمة باليتيم أمرٌ هام تحتاجه كل المجتمعات البشرية، وهو خلقٌ عظيمٌ إن تم بدافع حب الخير، والعطف على الأطفال، والرغبة في رعايتهم، وبه تجتمع الأواصر وتقوى، ويتحقق التكافل والتعاون، ويعيش أفراد المجتمع في اطمئنان.

ومما أثر عن العرب في عطفهم على اليتامى وممن اتصفوا بهذه الصفة صخر أخو الخنساء، حيث قالت في رثائه[١١٢]:

وَلِلْيَتَامى وَلِلأَضْيَافِ إِنْ طَرَقُوا ... أَبْيَاتَنَا لفِعَالٍ مِنْكَ مَخْبُورِ

وقالت فيه أيضًا[١١٣]:

يَا عَيْنِ جُودِي بِدَمعٍ مِنْكِ مِدْرارِ ... جُهْدَ العَوِيلِ كَمَاءِ الجَدْوَلِ الجَارِي

وَابْكِي أَخَاكِ لأَيتامٍ وَأَرْمَلَةٍ ... وَابْكِي أَخَاكِ لِحَقِّ الضَّيْفِ وَالْجَارِ

وقالت فيه أيضًا[١١٤]:

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالنَّدى مُتَدَفِّقًا ... مَأْوَى اليَتِيمِ وَغَايَةُ المُنْتَابِ

ومن ذلك قول الباهلية أخت المقصص ترثي أخاها الذي كان محبًا لليتامى[١١٥]:

وَأَبُو اليَتَامَى يَنْبُتُونَ بِبَابِهِ ... نَبْتَ الفِرَاخِ بِكَالِئٍ مِعْشَابِ

---

[١١٢] الخنساء: ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٦) ص٦٥ .

[١١٣] المصدر السابق، ص٧٥.

[١١٤] المصدر السابق ص١١. الدسيعة: الجفنة الواسعة والمائدة الكريمة، المنتاب: الزائر.

[١١٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١٧٦/٣).

www.mtenback.com

ومن أبواب الخير في قضاء الحوائج السعي على الأرملة والمسكين، وهو عمل عظيمٌ أجره، عميمٌ خيره، وقد حث عليه النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والقائم الليل، الصائم النهار»[١١٦]، وذلك لما في السعي على الأرملة من صيانة لها عن الابتذال وسؤال الناس والاندفاع بالأبواب مما يعرضها ويعرض المجتمع لأخطار الفساد، ولما فيه من رحمة باليتيم وصيانة له عن الوقوع في المآثم بسبب البحث عن لقمة العيش.

وهي كذلك صفة قديمة عند العرب، حيث قال الأعشى في ممدوحه بأنه الغيث الذي يحيا به من نكبوا من الأرامل والأيتام، وذلك لما أثر عنه من حب الخير في هذا المجال[١١٧]:

غَيْثُ الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ كُلِّهِمُ ... لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلاَّ ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

وقال فيه أيضًا[١١٨]:

وَرَبَّيْتَ أَيْتَامًا وَأَنْعَشْتَ صِبْيَةً ... وَأَدْرَكْتَ شَأْوَ السَّبْقِ دُوْنَ عَنَائِكَا

ويروى في هذا المقام أن حُجَيَّة بن المُضَرِّب كان جالسًا ذات يومٍ بفناء بيته، فخرجت جارية بقعب فيه لبن، فقال لها: أين تريدين بالقعب؟ فقالت: بني أخيك اليتامى، فوجم وأطرق لشدة الحزن، فلما أراح راعيا إبله قال لهما: ردّاها حول بني أخي، ثم دخل منزله، فعاتبته امرأته فقال يخاطبها[١١٩]:

تَلُومُ عَلَى مَالٍ شَفَانِيْ مَكَانُهُ ... إِلَيْكِ فَلُوْمِيْ مَا بَدَا لَكِ واغْضَبِي

---

[١١٦] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النفقات، برقم ٥٣٥٣.

[١١٧] الأعشى: ديوانه، ص١٠٨.

[١١٨] المصدر السابق، ص١٣٢.

[١١٩] الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام ٦٢٤/٢-٦٢٥.

www.mtenback.com

رَأَيْتُ اليَتَـــامَى لاَ تَسُـــدُّ فُقُورَهُـــم هَدَايَا لَهُم في كُـــلِّ قَعْـــبٍ مُشَـــعَّبِ
فَقُلْـــتُ لِعَبْدَيْنَـــا أَرِيحَـــا عَلَيْهِـــمُ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْـــلَ آخَـــرَ مُعْـــزِبِ

وكان الصالحون قديمًا يترقبون فرصة لعمل خير للآخرين، ويبحثون عن حاجة يقضونها لغيرهم، وينضون أجسادهم في تقديم العون وبذل المساعدة للمحتاجين، وإذا أقبل عليهم السائل يفرحون به، ويقولون: مرحبًا بمن جاء يحمل أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة، ويُقلّ عنا ما يشغلنا عن عبادة ربنا.

والمواقف في ذلك كثيرة، لأن الناس كانوا يتسابقون إلى فعل الخير، ويتحينـــون الفرص لتقديم العون، ويهتمون بالأرامل والأيتام والضعفـــاء والمحتـــاجين، فيقدمـــون جهدهم ومالهم ووقتهم بغية اكتساب الأجر والثواب.

وقد كان في تاريخ العرب نماذج رائعة في هذا الجانب، منهم بقي بن مخلد الذي اشتهر بعطفه على الفقراء والسعي في حوائجهم، وقد مشى في حاجـــة ضعيـــف إلى إشبيلية بالأندلس، ومشى مع آخر إلى «ألبيرة»، ومع امرأة ضعيفة إلى «جيان».

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي المروزي الملقب بالخياط؛ لأنه كـــان يخيـــط للأيتام والمساكين حِسبة، ويعد عمله صدقة عليهم وقربة إلى الله بهم.

قال الحاكم: «كان القاضي محمد بن علي المروزي طول أيامه يسكن دار ابـــن حمدون بحذاء دارنا، وكنت أعرفه يخيط بالليل، وإذا تفرغ بالنهـــار، خـــاط للأيتـــام والضعفاء، ويعدّها صدقة».

وقد وجد من الأثرياء من يعول الضعفاء، ومنهم ابن أبي ذهل الذي جعل ماله في خدمة الفقراء والمحتاجين، وكان يعول أكثر من خمســـة آلاف بيت من الفقـــراء، يقدم لهم مؤنتهم دون انقطاع.

وممن كان يسعى في خدمة الناس حبًا للخير وطلبًا للمثوبة أحمد الرفاعي الـــذي دأب يجمع الحطب ويأتي به إلى بيوت الأرامل، ويملأ لهم بالجرة.

www.mtenback.com

ومن أولئك رجل يقال له خيثمة، وكان موسرًا، ويحمل صررًا فيجلس في المسجد، فإذا رأى رجلاً من أصحابه في ثيابه رثاثة، اعترض له فأعطاه.

وحتى الأمراء وأبناء الخلفاء كانوا يهتمون بصلة الإخوان ومساعدة الذين يتصلون بهم مثلما فعل يزيد بن عبد الملك بن مروان حين وصلته غلّة من عُماله، فجعل يقسمها ويصرها ويبعث بها إلى إخوانه، فقال: إني أستحيي من الله عز وجل أن أسأل الجنة لأخ من إخواني، وأبخل عنه بدينارٍ أو درهم.

وليس ذلك فحسب، بل إن من حب الخير للناس في تراثنا العربي نماذج عجيبة، منها ما روي عن الخليل بن أحمد عندما انقطع شسع نعل لرجل كان يماشيه فخلع نعله، فقال ذلك الرجل ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفاء.

ومن ذلك ما نقله الحسن بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني، فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنيًا، ويقطعك فقيرًا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم، فقال: استنفق هذه، فإذا نفدت فأعلمني[١٢٠].

هذا يسير من كثير لا يحصى في هذا المجال، وقد خفي من حال المحسنين ما هو أكثر من ذلك؛ لأن أصحابه ممن ينفقون في السر ولا يحبون الجهر بالخير ليكتمل الأجر، وقد امتدح القرآن الكريم إبداء فعل الخير قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[١٢١]، وهذا من الأمور التي ينبغي إشاعتها ليقتدي الناس بها، ولأن صلاح المجتمع متوقف عليها، إذ بانتفائها ينتشر الفساد، وتنعدم المروءة، ويحل السخط ، وليس حب الخير إلا فيما ينفع الناس ويصل إليهم ممن يقدر على ذلك من عمل أو قول أو فعل، كل جهد يبذله المرء لتخفيف أعباء الحياة عن الناس هو مما يربي روح التعاون على الخير والبر وحسن الخلق.

---

[١٢٠] انظر: د. سيد حسين عفاني: صلاح الأمة في علو الهمة، (٥/٢٩٠-٢٩٥).

[١٢١] سورة البقرة: ٢٧١.

www.mtenback.com

وكان يقال اصنع المعروف إلى كل أحد، فإذ كان من أهله فقد وضعته في موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، قال الشاعر[١٢٢]:

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ؛ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

ويندرج تحت هذا الباب مكافأة من أسدى لنا معروفًا، فالمحب للخير يبذل طاقته من أجل ردّ الجميل لمن بادر بفعله أولاً، ومما يذكر في هذا المقام أن الشافعي اجتاز بمصر سوق الحذائين، فسقط سوطه، فقام إنسان، فأخذه ومسحه وناوله إياه، فقال لغلامه كم معك؟ قال: عشرة دنانير؛ قال: ادفعها إليه واعتذر له[١٢٣].

إنها مكافأتان مكافأة مادية ومكافأة معنوية، وربما كانت المكافأة المعنوية أبلغ من المادية وقد تكون بالاعتذار أو الدعاء أو حديثًا طيبًا يتداوله الناس بينهم لا تفنيه الدهور.

ومن مظاهر مساعدة الآخرين في زماننا مانراه من انتشار جمعيات البر الخيرية وجمعيات رعاية الأيتام وغيرها من الجمعيات الإنسانية التي تسعى لإيصال الخير إلى الناس حبًّا فيه وطلبًا للثواب، وسيأتي الكلام عن ذلك.

بذل النصيحة:

بذل النصيحة للآخرين ينبع من قلبٍ عامر بالخير، يحب مصلحة الآخرين، ويحرص عليها، وبالتالي لا يتوانى في التوجيه والإرشاد، وتقديم المشورة، والمساعدة على حسن الاختيار..

وفي الحديث: «الدين النصيحة، الدين النصيحة - ثلاثًا» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١٢٤].

---

[١٢٢] ابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية، حققه: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، (١٤١٩هـ)، ١/ ٣٢٧.

[١٢٣] الأبشيهي: المستطرف، ٢/ ١١٨.

[١٢٤] رواه أحمد، في مسند تميم الداري، حديث رقم (١٧٠٧١).

www.mtenback.com

وهذا الخلق الفاضل طبعٌ متأصل في الفطرة البشرية لدى كثير من الناس، وبتأمل التاريخ والسير نجد الكثير من النصائح دُوّنت ليستفيد منها الناس، ويتعلموا من تجارب لآخرين..

وربما كانت وصية لقمان لابنه من خير الوصايا وأجمعها، وقد أنزلها الله تعالى في كتابه لتتلى أبد الدهر، ولتكون نبراسًا وهداية للآخرين..

وقد كان العرب قديمًا يوصون ببذل النصيحة، ويتمثلونها واقعًا، ولا يضيعون فرصة فيها نصح للآخرين إلا ويغتنمونها، ومن أمثلة ذلك ما أوصى به الأعشى في قوله[١٢٥]:

سَأُوصِي بَصِيرًا إِنْ دَنَوتُ مِنَ البِلَى ... وُصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الأُمُورَ وَجَرَّبَا

بَأَنْ لا تَبَغِّ الوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ... وَلا تَنْأَ عَنْ ذِي بِغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

فَإِنَّ القَرِيْبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ ... لَعَمْرُ أَبِيْكَ الخَيْرَ لاَ مَنْ تَنَسَّبَا

ومن ذلك نصيحة النابغة الذبياني حاثًا على حسن المعاشرة والرأفة مع الصديق[١٢٦]:

وَاسْتَبْقِ وُدَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلا تَكُنْ ... قَتَبًا [١٢٧] يَعَضُّ بِغَارِبٍ مِلْحَاحَا

والرِّفْقُ يُمْنٌ وَالأَنَاةُ سَعَادَةٌ ... فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلاَقِ نَجَاحَا

وهي نصيحة مجرب، يوصي بالمحافظة على ود الصديق، وعدم الإثقال عليه، أو التخلي عنه، كما يوصي بالرفق والتأني لأن فيه السعادة والحبور.

---

[١٢٥] ديوان الأعشى ص٧. وصاة: وصيّة.

[١٢٦] ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، (د.ت) ص٢٠٠.

[١٢٧] القَتَبُ: واحد الأقتاب، وهي الأكف التي توضع على نقالة الأحمال. قال الزمخشري: ومن المجاز قولهم للمُلِحّ: هو قتب يعض بالغارب؛ الزمخشري: أساس البلاغة، ص٤٩١ (مادة قتب).

www.mtenback.com

ومن ذلك أيضًا وصية عمرو بن معد يكرب لقريب له، حيث قال[١٢٨]:

قَدْ نِلْتَ مَجْدًا فَحَاذِرْ أَنْ تُدَنِّسَهُ ... أَبٌ كَرِيمٌ وَجَدٌّ غَيْرُ مُؤْتَشِبِ

أُمِرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

وَاتْرُكْ خَلائِقَ قَومٍ لاَ خَلاَقَ لَهُم ... وَاعْمَدْ لأَخْلاَقِ أَهْلِ الفَضْلِ وَالأَدَبِ

وَإِنْ دُعِيْتَ لِغَدْرٍ أَوْ أُمِرْتَ بِهِ ... فاهْرُبْ بِنَفْسِكَ عَنْهُ آبِدَ الهَرَبِ

وهذه النصائح تتضمن حثًا على فعل الخير، ووصايا بالتخلق بأجمل الأخلاق وأنبلها، والابتعاد عن رذائلها وسفاسفها، والقيام على خدمة الناس وتقديم ما ينفعهم ويُستحسن أن تكون النصيحة على انفراد، وأن تبذل بطريقة تحفظ ماء الوجه، ولا تنقلب إلى فضيحة، وذلك كما قال الشافعي رحمه الله[١٢٩]:

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِي النَّصِيْحَةَ فِي الجَمَاعَهْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوبِيْخِ لاَ أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ

من هنا نرى أن النصيحة من أعمال الخير التي ينبغي بذلها للآخرين، وذلك لتكتمل لبنات المجتمع، ولتضاف إليه صفة من صفات الخير، وعنصر من عناصر الاستمرارية والبقاء والصلاح، ولا تكون النصيحة مقبولة إلا من محب للخير عامل له، صدوق في نصحه مخلص في أمره محبوب في عمله.

---

[١٢٨] عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب (٣٣٤/١)، وتنسب الأبيات أيضًا للعباس بن مرداس، ولزرعة بن السائب، ولخفاف بن ندبة. مؤتشب: مختلط. نشب: مال أصيل.

[١٢٩] الشافعي، ديوانه ص٥٦.

www.mtenback.com

البشاشة وطلاقة الوجه:

من أبسط الأمور التي تندرج تحت فضيلة حب الخير بسط الوجه والبشاشة في وجوه الآخرين، وهي مما حث عليه النبي ﷺ في عدد من الأحاديث منها: قول النبي ﷺ «لا تحقرن من المعروف شيئًا، فإن لم تجد فالق أخاك بوجه طلق»[١٣٠].

وحديث: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»[١٣١].

فهذه الأحاديث وغيرها رغبت في هذه الخصلة الحميدة من خصال الخير، وذلك لما لها من أثر اجتماعي طيب، حيث تعد البشاشة وطلاقة الوجه وسيلة سهلة لتمتين الألفة والمودة، وتقريب القلوب إلى بعضها، وإزالة كل شحناء وبغضاء وتنافر، وتسهيل الوصول إلى النفوس والتمكن منها بزرع أول بذور المحبة والمودة.

فالإنسان إذا التقى بأخيه فبادره الابتسام والبشاشة، وحياه والبشر يغمر محياه، شعر الآخر براحة واطمئنان، وسكن إليه قلبه، فلا يجد بدًا من مبادلته الابتسام بالابتسام، والبشر بالبشر، مما يضفي جوًا من الألفة والمودة، ويقرب كل شخص من صاحبه، ويشرح صدر كل واحد منهما للآخر فيكون الإخاء، وتتحقق العلاقة التي تقوم على الخير والحب والتعاون.

وسماحة الوجه مفتاح لجلب مكارم الأخلاق، فكل امرئ ذي فطرة سليمة إذا رأى ممن قابله بشاشة وابتسامًا شعر بضرورة الرد بالأحسن، وسارع لمبادلة أخيه الشعور نفسه والتحية نفسها أو أفضل منها، إنفاذًا للتوجيه القرآني في قوله تعالى:

---

[١٣٠] مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث رقم (٢٠٥٤٢).

[١٣١] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، حديث رقم (١٤٣٤٨)، ورواه الترمذي في البر والصلة رقم (١٨٩٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

www.mtenback.com

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[١٣٢].

قال أبو حاتم: البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء، لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بشّ للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبرت أنه مكتوب في الحكمة: يا بني، ليكن وجهك بَسْطًا، ولتكن كلمتك طيبة، تكن أحب إلى الناس من أن تعطيهم العطاء[١٣٣].

وينال بذلك الأجر والثواب لما جاء في الأثر: «ومن حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يبتسم. «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[١٣٤].

ولابد مع بسط الوجه من إتمام بقية مكارم الأخلاق كالكرم والبذل وقضاء الحوائج وأي مكرمة فيها خيرٌ للناس، لا أن يكون البسط مصطنعًا من أجل مصلحة أو نفع أو مداراة مبتذلة.

قال الأشعث بن قيس يومًا لقومه: إنما أنا رجل منكم ليس فيَّ فضل عليكم، ولكني أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حقوقكم وأحوط حريمكم، فمن فعل مثل فعلي، فهو مثلي، ومن زاد عليَّ فهو خير مني، ومن زدت عليه، فأنا خير منه. قيل له: يا أبا محمد، ما يدعوك إلى هذا الكلام؟ قال: أَحُضُّكم على مكارم الأخلاق[١٣٥].

---

[١٣٢] سورة النساء: ٨٦.

[١٣٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة بسط، وابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية، ٢/ ١٩٧.

[١٣٤] الترمذي: الجامع، برقم ٣٦.

[١٣٥] ابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية، ٢/٢٠٦.

www.mtenback.com

قال ميمون بن ميمون: «أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث: قضاء الحوائج»[١٣٦].

ولم تكن البشاشة وطلاقة الوجه أول المروءة إلا بسبب ما ذكرناه من أنها مفتاح للقلوب، ومجلبة لمكارم الأخلاق.. ولأنها تدفع الآخرين للإحسان والصفح والتغاضي عن كل المنفرات.

أما الطلاقة في الشعر، فقد ورد منها الكثير نذكر منه ما يلي: قال المتنبي[١٣٧]:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الحَالُ

والنطق هو الكلمة الطيبة.

وقال أبو الشيص الخزاعي[١٣٨]:

تَكَامَلَتْ فِيْكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا ... فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ

السِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالكَفُّ مَانِحَةٌ ... وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالوَجْهُ مُنْبَسِطُ

وقال محمود الوراق في هذا المجال أيضًا[١٣٩]:

أَخُو البِشْرِ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حالَةٍ ... وَلَنْ يَعْدَمَ البَغْضَاءَ مَنْ كَانَ عَابِسًا

وَيُسْرِعُ بُخْلُ المَرْءِ فِي هَتْكِ عِرْضِهِ ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الجُودِ لِلمَرْءِ حَارِسَا

وقال سعيد بن عبيد الطائي[١٤٠]:

---

(١٣٦) د. سيد حسين عفاني، صلاح الأمة في علو الهمة، (٣٠٩/٥).

(١٣٧) المتنبي: ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الناشر العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ) ٣٨٤/٣.

(١٣٨) ابن خلكان، محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (٢٣٨/٣).

(١٣٩) ابن مفلح: الآداب الشرعية، ٣/ ٤٥٣.

(١٤٠) قبّش أحمد: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، مطبعة الجهاد، دمشق، (د.ت)، ص٢١٥.

www.mtenback.com

الْـقَ بالبِشْرِ مَنْ لَقِيـتَ مِـن النَّـا س جَمِيْعًـا ولاقِهِـمْ بالطَّلاقَـهْ
تَجْـنِ مِنْهُـمْ أَجْنَى ثِمَارٍ فَخُذْهَـا طَيِّبًا طَعْمُـهُ لَذِيْـذَ الْمَذَاقَـهْ

ولا عجب إذا علمنا أنه تم في أيامنا هذه عمل دراسات وتأليف كتب وتنفيذ دورات تدريب لكيفية التعامل مع الناس ببشاشة وطلاقة وجه، واهتم بذلك أصحاب الأعمال التجارية فوضعوا قوانين عمل توجب على الموظفين التعامل بطلاقة وجه وبشاشة أثناء استقبال الزبائن، خاصة إن كانت الشركة أو المؤسسة تستقبل عدداً كبيراً من الزبائن بشكل يومي، وذلك وسيلة لترغيب الزبون في الشراء، والتردد على المحل للتسوق، مما يساعد على الترويج للبضاعة بشكل أفضل، ومثلما يتطلب رواج البضاعة بالبشاشة والسماح فإن صلة الإنسان وعلاقته بأخيه الإنسان أربح تجارة، وأولى أن تكون البشاشة من كل الناس حتى تسهل الحياة، ويدوم الوئام بين الناس.

الزيارة وعيادة المرضى:

من علامات حب الخير للآخرين الحرص على زيارتهم وعيادة مرضاهم، وهي عادة جرت بين الناس منذ الأزل؛ لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، وبالتالي لا يستغني أحد عن معونة الآخرين ومواساتهم، ولا بد للإنسان من الاتصال بالآخرين والارتباط معهم بعلاقات اجتماعية حميمة، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتكافل وتوثيق عرى العلاقة عن طريق الزيارة والسؤال عن الأصدقاء والإخوان، والتردد عليهم وبث الشجون لهم، واستشارتهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، وتبادل الأفكار، والاستفادة من خبراتهم، والاستعانة بهم في الملمات.

من هنا كانت الزيارة أمراً مهماً لكل إنسان، وهي علامة على الود والصفاء، وباب من أبواب الخير، ومفتاح للتعاون والتآلف.

والزيارة يُستدل بها على استمرار العلاقة الحميمة، ويُنظر إليها على أنها الدليل على حسن العشرة، ومتانة العلاقة، فكلما تواصلت الزيارات بين الناس كلما دل ذلك

www.mtenback.com

على حسن علاقاتهم، وتآلف قلوبهم، وعلى العكس فإننا نجد بداية الافتراق وقطع حبال الود تكون بالإقلال من الزيارة، والجفاء، وسوء الاستقبال.

والعزلة عن الناس أمر غير مرغوب فيه حتى لو رأى منهم سوءًا، فإنه يجني على نفسه بذلك، لأنه بحاجة إلى الناس، وهم كذلك ربما كانوا بحاجة إليه.

ومما يُروى في هذا المجال أن رجلاً جاء إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، فحدثت نفسي ألا أخالطهم، فقال له وهب: لا تفعل، فإنه لا بد للناس منك، ولا بد لك منهم، لهم إليك حوائج، ولك إليهم حوائج[١٤١].

ولكي تكون الزيارة ذات فائدة، يستحسن أن تكون عن موعد مسبق، وفي وقت مناسب، وقصيرة قدر الإمكان، ومحددة الهدف، وذات بعد إنساني واجتماعي يعود بالخير على الزائر والمزور.

كما يُستحسن عند الزيارة تبادل الهدايا، لما جاء في الحديث: «تهادوا تحابوا»[١٤٢]، وينبغي على المزور أن يحسن الاستقبال، ويقوم بحق الضيافة، ويستحسن السؤال عن الأحوال والأهل، والعلاقات مع الجيران والأقارب، والبشاشة وانتقاء أطيب الحديث، وعند انتهاء الزيارة على المزور تشييع زائره وتوديعه بأطيب الكلام.

وفي الحديث أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرسل الله على مدرجته ملكًا، فقال له: أين تذهب؟ قال: أزور أخًا لي في الله في قرية كذا وكذا، قال: هل له عليك من نعمة تربُّها؟ قال: لا، ولكني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحببته فيه[١٤٣].

---

[١٤١] ابن قتيبة: عيون الأخبار (٣/٢٦).

[١٤٢] جاء في الموطأ: وتهادوا أو تحابوا وتذهب الشحناء حسن الخلق ١٦، وفي الترمذي تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَرَ الصَّدرِ (ولاء ٦). وانظر عنه العجلوني: كشف الخفاء ١/٣١٩ برقم ١٠٢٣.

[١٤٣] أحمد: مسنده، مسند أبي هريرة، حديث رقم (٩٩٥٩).

www.mtenback.com

وفي هذا الحديث نرى أن الزيارة لا تقتصر على الأقارب والأغنياء وأصحاب الجاه، بل ينبغي أن تشمل الأصدقاء والجيران وخاصة الفقراء منهم والمساكين، لما في ذلك من فائدة المواساة والسؤال عن أحوالهم، وتقديم المعونة لهم.

كما ينبغي ألاَّ تكون الزيارة من أجل مصلحة دنيوية تنقضي بانقضائها، وتنتهي العلاقة بتحقق تلك المصلحة أو اليأس من تحققها، بل يجب أن يكون وراء الزيارة دوافع أسمى، وغايات أنبل،مثل المحبة في الله، وتوثيق عرى الأخوة، وتحقيق الألفة.

قال الشاعر[١٤٤]:

أَزُوْرُ مُحَمَّـــدًا وَإِذَا الْتَقَيْنَـــــا تَكَلَّمَتِ الضَّمَـــائِرُ فِـــي الصُّـــدُورِ

فَـــأَرْجِعُ لَـــمْ أَلُمْـــهُ وَلَـــمْ يَلُمْنِـــي وَقَدْ رَضِيَ الضَّمِـــيرُ عَـــنِ الضَّمِـــيرِ

وإضافة للزيارة التي تعبر عن العلاقات الحميمة بين الناس، فإن هناك أنواعًا مختلفة أخرى من الزيارة، فمنها ما يكون لقضاء حاجة، أو تحقيق مصلحة، ومنها ما يكون للإصلاح بين الناس، ومنها ما يكون للتعرف والسؤال، ومنها ما يكون من أجل عيادة مريض والسؤال عن حاله ومواساته..

وهذه الأخيرة باب من أبواب الخير، حيث تُعد من الأهمية بمكان لمجتمع ينشد الاستقرار والصلاح..

فكل إنسان معرض للإصابة بالأمراض المختلفة، وقد يحتاج إلى الراحة لمدة طويلة فينقطع عن رؤية الناس ومخالطتهم، ومن ثم يكون بأمس الحاجة إلى زيارة الإخوان والأصحاب له، وذلك ليبث إليهم أشجانه، وينفّس عما أصابه، وليجد منهم المواساة والتشجيع على الصبر، والترويح عن النفس، وغير ذلك.

---

[١٤٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد (٤/ ٣١٠).

www.mtenback.com

ولهذا كان من حق المسلم على أخيه عيادته إذا مرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية، وإجابة الدعوة، وشهود الجنازة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد الله عز وجل»[١٤٥].

وجاء في الحديث: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ من السماء: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»[١٤٦].

وكان يقال: «امش ميلاً وعُد مريضًا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزُر أخًا في الله»[١٤٧].

وبهذا يتبين أن الزيارة عملٌ خيري إن أُحسن استغلالها، وكانت لدوافع إنسانية، وأهداف نبيلة، ولا شك أنها بذلك تؤدي إلى الألفة وحسن الاجتماع، وتربي المحبة، وتنمي التعاون، وتفضي إلى الود وتمتين عرى الصداقة والإخاء.

وقد قال الأبشيهي في المستطرف: «اعلم أن المودة والأخوة والزيارة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع، وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجع المقاصد».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين»، وأنشدوا في ذلك:

وَمَا المَرْءُ إِلاّ بِإِخْوَانِهِ ... كَمَا يَقْبِضُ الكَفُّ بِالْمِعْصَمِ

---

(١٤٥) أحمد: مسنده، مسند أبي هريرة، حديث رقم (٨٣٧٨).

(١٤٦) أحمد: المسند، مسند أبي هريرة،رقم (٨٥١٧)، ورواه الترمذي، الجامع البر ٢٠٧٦، المباركفوري، تحفة الأحوذي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١ بلا تاريخ) (١٢٤/٦).

(١٤٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٣٣/٣).

www.mtenback.com

وَلاَ خَيْرَ فِي الكَفِّ مَقْطُوعَةً وَلاَ خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الأَجْذَمِ

وفي الزيارة قال الشاعر[١٤٨]:

زُرْ مَنْ تُحبّ وَإِنْ شَطّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وأَسْتَارُ

لاَ يَمْنَعَنّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

إكرام الضيف وحفظ الجوار:

إكرام الضيف خلق نبيل أول من اتصف به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخاصة إبراهيم الخليل الذي سمي أبا الضيفان، وذلك لأنه كان يلتمس الأضياف ويبحث عنهم لإكرامهم والقيام بما يصلح أحوالهم.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى بعث حبيبي جبريل عليه الصلاة والسلام إلى إبراهيم عليه السلام فقال له: يا إبراهيم، إني لم أتخذك خليلاً على أنك أعبد عبّاد لي، ولكن اطلعت على قلوب المؤمنين، فلم أجد قلبًا أسخى من قلبك (أي أجود وأكثر كرمًا)[١٤٩].

واشتهرت هذه الخصلة في العرب قبل الإسلام، وكان من أشهرهم في ذلك حاتم الطائي، حيث يروى عنه أنه كان يأمر غلامه يسارًا إذا اشتد البرد وكلبَ الشتاء أن يوقد نارًا في يفاع الأرض لينظر إليها من أضل الطريق ليلاً، فيعمد نحوه، فقال في ذلك[١٥٠]:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرُّ وَالرِّيحُ يَا مَوْقِدُ رِيحٌ صِرُّ

---

[١٤٨] انظر: الأبشيهي: المستطرف، (١/٣٧٤-٣٩٠).

[١٤٩] المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٨٤).

[١٥٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/٢٤٢.

www.mtenback.com

عَـلَّ يَـرَى نَـارَكَ مَـنْ يَمُـرُّ إِنْ جَلَبَـتْ ضَيْفًـا فَـأَنْتَ حُـرُّ

ولقد حث الإسلام على إكرام الضيف، والسخاء والجود والبذل من أجله، وعد هذه الخصلة من شعب الإيمان، وذلك لأنها تؤلف بين القلوب، وتشيع المحبة، ولذلك كان من أهم علامات الألفة في المجتمع إطعام الطعام.

وفي هذا المجال جاء في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١٥١].

والعربي يحافظ على جاره قريبًا كان أم بعيدًا،ويتحمل إساءته إن بدت منه، ويغضي عن هفواته، ويحب له الخير، ويسعى إلى ذلك.

والجارة عند العربي لها حرمة خاصة، فهو يحافظ عليها، ولا يحاول السوء معها، ويغض الطرف عنها إذا ما بدت له، كما قال عنترة[١٥٢]:

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَـدَتْ لِي جَـارَتِي حَتَّـى يُـوَارِي جَـارَتِي مَأْوَاهَـا

وقال الأعشى[١٥٣]:

وَجَارةُ جَنْبِ البَيتِ لا تَـنْـعَ سِـرَّهَا فَإِنَّكَ لا تُخْفِي عَلَـى اللهِ خَافِيَـا

وَكُن مِنْ وَرَاءِ الجَارِ حِصْنًـا مُمَنَّعًـا وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ الوَجْـهَ حَامِيَـا

ومما قاله في حفظ الجوار أيضًا[١٥٤]:

وَالجَـارُ أُوصِيكُـمُ بِالجَـارِ إِنَّ لَـهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْـرِ يَثْنِيـهِ فَيَنْصَـرِفُ

---

[١٥١] أحمد: المسند رقم (٧٦١٥) ص٥٧٢.

[١٥٢] عنترة: ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، (١٤٠٣هـ) ص٣٠٨

[١٥٣] الأعشى: ديوانه، ص٢١٨.

[١٥٤] الأعشى: ديوانه ص١١١.

www.mtenback.com

ومما قاله الإمام الشافعي في حق الجار[١٥٥]:

وَمَنْ يَقْضِ حَقّ الجَارِ بَعْدَ ابنِ عَمّـــهِ ... وَصَاحِبِهِ الأَدْنَى عَلَى الْقُرْبِ والبُعْـدِ

يَعِشْ سَيِّدًا يَسْتَعْذِبُ النَّـاسُ ذِكْـرَهُ ... وإنْ نَابَهُ حقٌّ أَتَوْهُ عَلَـى قَصْـدِ

بعد كل هذا نجد أن إكرام الضيف وحفظ الجار واجب من الواجبات الاجتماعية العامة، وشيوع ذلك بين الناس يساهم في صلاح ونهضة المجتمع، إذ هي من قواعد حب الخير للناس.

القرض الحسن:

من أجل أفعال الخير التي لها تأثير في الناس القرض الحسن، حيث فيه تفريج كربة، وإزالة غم، وقضاء حاجة، وتسهيل معاملات الناس المالية، ومساهمة في حل مشكلة البطالة والفقر، وغير ذلك من الفوائد العميمة.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٥٦].

ويساعد القرض الحسن في القضاء على الربا وآثاره، حيث ينأى بالناس عن اللجوء إلى البنوك الربوية، وأخذ مبالغ منها بفوائد تتراكم مع الزمن وتثقل الكاهل، وتؤدي إلى الفساد.

وليس القرض الحسن مقتصراً على الأفراد فقط، بل هو أمر مندوب حتى للدول والولايات والإمارات، فنجد بعض الدول الغنية تتعامل بهذا المبدأ الأخلاقي، فتقدم قروضًا حسنة من غير فوائد للدول الفقيرة، وذلك للإسهام في تنميتها ونهضتها، ومعالجة كثير من مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية.

---

[١٥٥] الشافعي: ديوانه ص٤١.

[١٥٦] سورة البقرة: ٢٤٥.

www.mtenback.com

ولما لهذا الأمر من أهمية، نجد الإسلام قد حث عليه وأكده، ورغب فيه، ففي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَسَّرَ على معسرٍ في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»[١٥٧].

وعلى المقترض أن يتصف بالأمانة، فيجازي مقرضه بمثل إحسانه، ويرد جميله، ويعيد ماله في موعده دون مماطلة عن ظهر غنى، أو تسويف لمجرد الحرص والرغبة في بقاء المال بحوزته، فهذا من قبيل المجازاة بالمعروف والإحسان أما إن كان معسرًا فعليه أن يبدي للمقرض سبب تأخره، وعدم قدرته، ويطلب منه إمهاله حتى يتيسر له ما يسد به الدين.

وفي هذا قال الشاعر لبيد[١٥٨]:

وإِذَا جُوزِيْتَ قَرْضًا فَاجْزِهِ ... إِنَّما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ

وعلى المقرض أن يبذل القرض لوجه الله تعالى، دون التطلع إلى مصلحة دنيوية، ودون قبول هدية لقاء قرضه، بل يحتسب الأجر عند الله تعالى.

وفي الحديث: «إذا أقرض أحدكم أخاه قرضًا فأهدى له، أو حمله على دابته، فلا يقبلها، ولا يركبها، إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك»[١٥٩].

والقرض أفضل من الصدقة، وذلك لما جاء في الحديث: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر،فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجته»[١٦٠].

---

[١٥٧] المنذري: الترغيب والترهيب، ٣/٣٩٠.

[١٥٨] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٣/٢٢٨.

[١٥٩] ابن ماجة: سننه، دار السلام، الرياض، ط١، (١٤٢٠هـ) رقم (٢٤٣٢)، ص٣٤٨.

[١٦٠] ابن ماجة: سننه (٢٤٣١) ص٣٤٨.

www.mtenback.com

والقرض الحسن لا يقتصر في فوائده على الفقراء والمحتاجين، بل غالبًا ما يحتاجه أصحاب الأعمال والمشروعات الكبيرة التي تعود بنفعها على قطاع كبير من المجتمع، ويحتاجه كذلك من ألمت به مصيبة من حريق أو مرض يحتاج معه لإجراء عملية ذات تكاليف باهظة، أو فقدان لأمواله، أو خسارة في تجارته.. وغير ذلك.

وبالتالي فإن القرض الحسن ذو فوائد كثيرة تتعدى فوائد الصدقة وتفضلها، والمجتمع بحاجة إلى مثل هذه الخصلة من خصال الخير، لتعم بنفعها، ويستفيد منها الكثير من أفراده.

حب الخير والتربية:

لا يكفي أن يكون حب الخير غريزة أو فطرة كامنة في القلب، ومتأصلة في النفس حتى يصلح المجتمع وتسير أموره على خير ما يرام، بل لا بد من تنمية نوازع الخير في الإنسان، ولا بد من رعايتها والاهتمام بها عن طريق التعليم والإرشاد والتوجيه، وهذا أمر يحتاج إلى دعم على كل المستويات، ويحتاج إلى جهود كبيرة، وتضافر متين، ومؤسسات ومراكز وجهات حكومية وشعبية، عامة وخاصة تتعاون في بذر بذور الخير، والاعتناء بها لتنمو النمو السليم، وتنتج ثمارًا يانعة، تعود بالنفع والخير على كافة أبناء المجتمع.

إن حب الخير من أعظم الفضائل، وأنبل الأخلاق التي لا بد منها في كل مجتمع بشري، حيث يترتب على وجودها صلاح المجتمع، وصلاح المجتمع إنما يكون بصلاح أفراده، ولذا تحتم على كل أمة أو شعب يريد الخير والسؤدد أن يعمد لتنفيذ مشروع تربوي متكامل يعتمد مبدأ حب الخير والاعتدال والنفع ومراعاة المصالح العامة والخاصة.

إن هذه التربية التي تراعي هذا الشأن لا يمكن أن تنجح دون دعم ماديّ ومعنوي، ودون توفير الظروف الملائمة، وبالتالي ينبغي إيجاد العلماء والمصلحين أولاً،

www.mtenback.com

وهؤلاء يحتاجون إلى من يسند ظهرهم ويأخذ بأيديهم في عملية الإصلاح والتربيـــة، ويحتاجون لمنشآت ومراكز وأجهزة وأدوات ومواد..

وبعد تهيئة الجو المناسب، وتوفير العلماء والأدباء والدعاة مـــن أهـــل الخـــير والصلاح ينبغي تسخير الإعلام بوســـائله المختلفة لتحقيق هذه الغاية العظيمة، وذلك بعرض برامج مدروسة، وتقديم مادة قيمة بأساليب جذابة نافعـــة، والـــتركيز علـــى الجوانب الخيرية والأعمال الطيبة، ونقل أخبار الخير ومؤسساته، وتمثيـــل أدوار الخـــير ومواقفه، وذلك لبَثّ روح العمل الخيري، والتعاون في الإصلاح العام.

ثم تأتي مرحلة البناء التدريجي طويل الأمد، وذلك بوضع سياســـات تعليميـــة تربوية مُتّزنة مدروسة، ومتابعتها بدقة، وتطويرها دائمًا وباستمرار لتتناسب مع الغايـــة والهدف النبيل في ترسيخ مبادئ الخير في نفوس أبناء المجتمع.

وحول تربية العرب لأبنائهم على خصال الخير وردت آثار تـــروى، ومواقـــف تُحكى، يجمل بنا التعرض لبعضها استقصاء للفائدة.

قال عبد قيس بن خفاف البرجمي يوصي ابنه[١٦١]:

أُبـــنيَّ إنَّ أَبَـــاكَ كَـــارِبُ يَوْمِـــهِ ... فَإذَا دُعِيْـــتَ إلى المَكَـــارِمِ فَـــاعْجَلِ

وَالضَّيْـــفُ أَكْرِمْـــهُ فَـــإنَّ مَبِيْتَـــهُ ... حَقٌّ وَلاَ تَـــكُ لَعْنَـــةً لِلنُـــزّلِ

وَاتْرُكْ مَحَلَّ السَّـــوءِ لا تَحْلُـــلْ بِـــهِ ... وَإذَا نَبَا بِـــكَ مَـــنْزِلٌ فَتَحَـــوَّلِ

وَإذَا هَمَمْتَ بِأَمْـــرِ شَـــرٍّ فَـــاتَّئِدْ ... وَإذَا هَمَمْتَ بِـــأَمْرِ خَـــيْرٍ فَافْعَـــلِ

ومن أروع ما نقل إلينا التاريخ في هذا الجانب الخلقي العظيم، وصيـــة حكيـــم العرب ذي الأصبع العدواني الذي سطر بكلمات خالدة معظم معاني الخير، وحث ابنه عليها عندما أوصاه بوصية جامعة وهو على فراش الموت، وذلك طمعًا في تنشئته على

[١٦١] ابن منظور: لسان العرب، مادة كرب.

www.mtenback.com

الخصال الطيبة من حب الخير لأنه كان يريده أن يكون سيدًا في قومه، موفور الكرامة، محمود السيرة، باذلاً للخير في كل وقت، حيث يقول: «يا بني إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يَسوّدُوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصُن وجهك عن مسألة أحد شيئًا،فبذلك يتم سؤددك ثم أنشأ يقول[١٦٢]:

أَأُسَيْدُ إِنْ مَالاً مَلَكْتَ فَسِرْ بِهِ ... سَيْرًا جَمِيلاَ

آخِ الكِرَامَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَى إِخَائِهِمُ سَبِيلاَ

وَاشْرَبْ بِكَأْسِهِمُ وَإِن شَرِبُوا بِهِ السَّمَّ الثَمِيلاَ

أَهِنْ اللِّئَامَ وَلاَ تَكُنْ لِإِخَائِهِمْ جَمَلاً ذَلُولاَ

إِنَّ الكِرَامَ إِذا تُؤَا خِيهِمْ وَجَدْتَ لَهُمْ قُبُولاَ

وَدَعِ الَّذِي يَعْدُ العَشِيـ ... ـرةَ أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلاَ

أُبَنَيَّ إِنَّ المَالَ لا يَبْكِي إِذَا فَقَدَ البَخِيلاَ

أَأُسَيْدُ إِنْ أَزْمَعْتَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلاَ

فَاحْفَظْ وَإِنَّ شَحَطَ المَزَا رُ أَخَا أَخِيكَ أَوِ الزَّمِيلاَ

وَارْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَمْـ ... ـتَ بِهَا الحَزُونَةَ وَالسُّهُولاَ

(١٦٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الفكر، القاهرة، (د.ت) ج٣، ص٦-٧.

www.mtenback.com

وَصِـلِ الكِـــرَامَ وكُـنْ لِمَـــنْ تَرْجُـو مَوَدّتَـــهُ وصُـــــولاَ
وَدَعِ التَوانِـي فِـي الأُمُـــــو رِ وكُـنْ لَهَـــا سَـــلِسًا ذَلُـــولاَ
وَابْسُـــــطْ يَمِيْنَـكَ بَـــالنَّدَى وَامْـدُدْ لَهَـــــا بَاعًـا طَوِيـلا
وَابْسُـــطْ يَدَيْـكَ بِمَـا مَلَكْـــ ـــتَ وَشَـيِّدِ الحَسَـبَ الأَثِيـلاَ
وَاعْـــزِمْ إِذَا حَـــاوَلْتَ أَمْـــ ـــرًا يَفْـرُجُ الهَـمَّ الدَّخِيـــلاَ
وَابْـذِلْ لِضَيْفِـكَ ذَاتَ رَحْـــ ـــلِـكَ مُكْرَمًـا حَتَّـى يَـــزُولاَ
واحْلُـلْ عَلَـى الإِيْـــفَاعِ لِلْـــ ـــعَـافِينَ وَاجْتَنِـبِ الْمَسِـــيْلا»

لقد جاءت وصية ذي الإصبع جامعة لأغلب خصال الخير، واشـتملت علـى معظم الصفات النبيلة التي يأملها كل والد في ولده، وهي صفحة ناصعة في التربية على مكارم الأخلاق وأحسنها، كما فاضت هذه الوصية بالحرص على التربيـة الصالحـة، والتنشئة السليمة، بعيدًا عن الأحقاد والضغائن ومساوئ الأخلاق.

ومما قيل على سبيل التربية والوصية بفعل الخير:

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَـإِنَّ اللهُ ذُو كَـرَمٍ وَمَا عَلَيْكَ إِذَا أَذْنَبْـتَ مِـنْ بَـاسِ
إِلا اثْنَتَيْـنِ فَلاَ تَقْرَبْهُمَا أَبَـــدًا الشِّرْكُ بِـــاللهِ والإِضْـرارُ بالنَّـاسِ

وزرع الجميل والمعروف من أفعال الخير، وذلك لما تتركه من أثـر في التربيـة بالقدوة والمثل، فلا يذكر صاحب الجميل إلا بخير، وفي ذلك قال الشاعر[١٦٣]:

ازْرَعْ جَمِيلاً وَلَوْ فِي غَـيْرِ مَوْضِعِـهِ فَلاَ يَضِيـعُ جَمِيـلٌ حَيْثُمَـا زُرِعَـا

وقال آخر[١٦٤]:

---

[١٦٣] أميل يعقوب: معجم لآلىء الشعر، بيروت، دار صادر، ط٢، (١٩٩٨م).

[١٦٤] ابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية ٣٢٩/١.

www.mtenback.com

مَنْ يَزْرَعِ الخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَـرُّ بِـهِ وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَـى الـرَّأْسِ

وعلى المربي أن ينصح بالتزام المكان الذي يشيع فيه الخير، والبعد عن الديـار الفاسدة التي اعتاد أهلها فعل المنكرات، وارتكاب الفواحش، وذلك كما قال منقرُ بـن فروة المنقري[١٦٥]:

وَإِنْ خِفْتَ مِنْ أَمْـرٍ فَوَاتًـا فَوَلِّـهِ سِوَاكَ وَعَنْ دَارِ الأَذَى فَتَحَـوَّلِ

وَمَا المَرءُ إِلاَّ حَيْـثُ يَجْعَـلُ نَفْسَـهُ فَفِي صَالِحِ الأَخْلاقِ نَفْسَكَ فَـاجْعَلِ

ومن الوصايا الجميلة في المعاملة بالخير، والإحسان إلى الغير قول علي رضي الله عنه: «عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شَرَّه بالإنعام عليه»[١٦٦].

وقوله أيضًا: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»[١٦٧].

ويجب أن ينوه المربي إلى ضرورة الإحسان من غير مراءاة، ومن غـير أن يتبـع إحسانه وخيره أذى أو منة، لأن ذلك يحول فعل الخير إلى شر وعداوة.

وقد أثر عن العرب قولهم: «المنة تهدم الصنيعة»[١٦٨].

ويرغب المربي في صحبة أهل الخير، ويحث على مرافقة الطيبين، ويحذر من أهل الشر والسوء، ويبين مثالبهم وتبعة صحبتهم، وأنها لا تجلب إلا الندم والحسرة.

قال عدي بن زيد[١٦٩]:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَـارَهُمْ وَلاَ تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

---

[١٦٥] الجاحظ: البيان والتبيين، (٣/٢٢٨)

[١٦٦] محمد عبده: نهج البلاغة ص٧١٧.

[١٦٧] محمد عبده: نهج البلاغة ص٧١٩.

[١٦٨] الميداني: مجمع الأمثال (٢/٢٨٧).

[١٦٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص١٧٩.

www.mtenback.com

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَـــرِينِه فَكُلُّ قَرِينٍ بالمقَـــــــارِنِ يَقْتَـــدِي
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أَهْلَـــــــهُ وقَامَ جُناةُ الشّرِّ بالشَّرِّ فاقْعُـــــــدِ

وينبه المربي أتباعه بضرورة الصبر على الأذى وتحمـــله من الآخرين، وعدم الرد بالإساءة، واحتساب الأجر والرضوان عند الله تعالى، وينمي في نفوسهم خصلة هضم النفس من أجل الناس، والتغاضي عن هفواتهم..

وهذه الميزة عرفت في العرب قديمًا، حيث نجد الشاعر العربي المقنـــع الكنـــدي يقول في قومه وعشيرته[١٧٠]:

إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَـــرْتُ لُحُومَهُـــم وَإِنْ يَهْدِمُوا مجدي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْـــدًا
وَلاَ أَحْمِلُ الحِقْـــدَ القَدِيْـــمَ عَلَيْهِـــمُ وَلَيْسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْـــدَا

والتربية على حب الخير وفعله تحتاج إلى مناهج مدروسة، وإمكانيات ماديـــة، وتعاون وتضافر حكومي وشعبي، وذلك حتى تؤتي العملية التربوية ثمارها، وينشـــأ في المجتمع جيلٌ محبٌ للخير، مسارع إليه.

والأمم بحاجة ماسة إلى هذه التربية، خاصة في أيامنا هذه التي انتشر فيها الشر، وابتعد فيها الناس عن الخير، فصارت معاملاتهم مبنية على المصالح الآنية والشـــخصية، وخمدت فيه معالم الصلاح، وحلت محلها الأنانية والأثرة والحرص على السلامة ولـــو على حساب الآخرين.

ولو تأملنا حال أبنائنا اليوم لوجدنا عوامل كثيرة تنزع بهم إلى الشر، وبالتـــالي يحتاج تقويمهم وإصلاح أخلاقهم، وجبلها على حب الخير إلى جهدٍ ومتابعة، وبـــذل وانتباه، وحرص وتعليم متواصل..

---

[١٧٠] الأعلم الشنتمري: ديوان الحماسة (٦٤٨/٢).

www.mtenback.com

المؤسسات الخيرية ودورها الإنساني:

إن تحقيق أبواب الخير المختلفة، وتنظيم العمل الخيري، يحتاج إلى وجود مؤسسات وجمعيات تُسهّل تنفيذ المشروعات الخيرية، وتنظم توزيع المساعدات، وتيسر السبل للاتصال بالمحتاجين لفعل الخير، وتصل بينهم وبين المحسنين من أهل الخير، وتعمل على توفير فرص عمل الخير وتضعها بين يدي الباحثين عن الخير وأهله المستحقين له.

وبتأمل تاريخنا وحضارتنا نجد أن المجتمعات الإسلامية كانت وما زالت زاخرة بهذه المؤسسات والجمعيات، قديمًا وحديثًا، في روائع قلما نجد مثلها في تاريخ الإنسانية كلها.

وهذه المؤسسات الخيرية تتنوع وتختلف في أعمالها ومهماتها، ومن أهمها: المدارس والمستشفيات والخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين وغيرهم من ذوي الفقر.

ومنها ما كانت وقفًا لإصلاح الطرقات والقناطر والجسور، ومنها ما كانت للمقابر يتبرع الرجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامةً.

ومنها ما كان لشراء أكفان الموتى الفقراء وتجهيزهم ودفنهم.

أما المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي، فقد كانت عجبًا من العجب، فهناك مؤسسات للّقيطين واليتامى ولختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجزة، يعيشون فيها موفوري الكرامة، لهم كل ما يحتاجون من سكن وغذاء ولباس وتعليم أيضًا.

وهناك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين ورفع مستواهم، وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم.

ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج وتقديم المهور.

www.mtenback.com

وآخر ما نذكره من هذه المؤسسات، المؤسسات التي أقيمت لعلاج الحيوانات المريضة أو لإطعامها، أو لرعيها حين عجزها، كما هو شأن المرج الأخضر في دمشق الذي يقام عليه الملعب البلدي الآن، فقد كان وقفًا للخيول والحيوانات العاجزة المسنة، ترعى منه حتى تلاقي حتفها[١٧١].

وبالإضافة إلى ذلك قامت مؤسسات وأوقاف خيرية عديدة في مختلف البلدان العربية، ولأن حب الخير بلغ مبلغًا عظيمًا في قلوب الناس، نجدهم قد استحدثوا أوقافًا شملت كل جوانب الخير صغيرها وكبيرها، ولم يتركوا مجالاً أو جانبًا من جوانب الخير إلا وتركوا فيه آثارًا لا زالت تُذكر إلى يومنا هذا.

هذا عن مؤسساتنا الخيرية في الماضي، وربما كانت مثل هذه الأوقاف الخيرية موجودة في أكثر بلداننا العربية، أما في الحاضر فحدث ولا حرج، حيث لا تخلو دولة من دول عالمنا الإسلامي من هذه المؤسسات المتنوعة، وقد شهدت الفترة الأخيرة من القرن العشرين طفرة في إنشاء مثل هذه المؤسسات، والتي تبنت مشرعات الخير المختلفة، ومن أمثلتها:

في المملكة العربية السعودية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وهيئة الإغاثة الخيرية، ومؤسسة الحرمين، ولجنة المشاريع والمساجد، ومؤسسة مكة، واللجنة العليا لجمع التبرعات، ومؤسسة الأمير سلطان الخيرية والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وغيرها كثير في كافة مناطق المملكة.

وفي الأردن: جمعية المركز الإسلامي الخيرية، وجمعية العفاف، ولجنة المناصرة الخيرية، وغيرها من لجان الزكاة والمؤسسات التي تقوم بكل أعمال الخير.

وفي الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، والهيئة الخيرية العالمية وبيت الزكاة، وغيرها.

---

(١٧١) انظر: السباعي، من روائع حضارتنا، ص١٢٥-١٢٨.

www.mtenback.com

وفي الإمارات: جمعية الإصلاح الاجتماعي.

وفي فلسطين: الجمعية الإسلامية، وجمعية الإصلاح، ولجان الزكاة في كل مدينة وقرية.

وفي مصر: جمعية الشبان المسلمين، والشابات المسلمات، ولجان الزكاة، ومؤسسات الوقف المختلفة.

وفي سوريا: جمعية المواساة الخيرية، والجمعية الخيرية الفلسطينية، وجمعية حي سوق ساروجا وغيرها.

وفي لبنان: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، التي تأسست عام ١٨٧٨م، وقد أدارت الكثير من الأوقاف الإسلامية من أجل إرساء دعائم فعل الخير للناس، ومؤسسة عبدالهادي الدبس الخيرية التي تقدم الدعم المادي للطلبة المتفوقين.

وفي تونس: مركز الدراسات العثمانية والمورسكية الذي يقدم خدمات مجانية جليلة من مدينة سوسة، إذ أوقف الدكتور عبد الجليل التميمي مؤسس المركز عدداً من الشقق السكنية خدمة للباحثين وطلاب العلم.

وهناك جمعيات خيرية تعنى بالفقراء والمساكين، كجمعية التربية والأسرة، وجمعية التضامن الاجتماعي، وجمعية الضمان الاجتماعي وغيرها.

وهكذا في كل دولة من دولنا الإسلامية، وهذه الجمعيات والمؤسسات تشرف على مشروعات خيرية عديدة، وتخدم مجالات شتى في أعمال الخير، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- نصرة المنكوبين في الدول الإسلامية نتيجة الحروب والاعتداءات والكوارث.
- كفالة الأيتام والأرامل والأسر المحتاجة.
- فداء الأسرى، ورعاية أسر المعتقلين في سجون الأعداء.

www.mtenback.com

- بناء المساجد ودور تحفيظ القرآن.
- تسيير قوافل الخير، والقوافل الطبية.
- بناء الآبار الارتوازية.
- تفطير الصائمين.
- توزيع لحوم الأضاحي على الفقراء.
- بناء المستشفيات والمستوصفات الطبية.
- توفير الأدوية والعلاج المجاني للمحتاجين والفقراء.
- طباعة الكتب التعليمية والدينية والثقافية وتوزيعها مجانًا.
- بناء دور الأيتام والمقعدين والعجزة.
- إقامة المشروعات الخيرية التي يعود ريعها على الفقراء والمحتاجين.
- طبق الخير الذي تقدمه النساء إسهامًا منهن في جمع التبرعات عن طريق بيع أطعمة صنعتها أيديهن، وذلك لتقديمها للفقراء أو المشروعات الخيرية المختلفة.
- اقتطاع جزء يسير من الراتب الشهري، وإيداعه في حساب الجمعيات الخيرية.
- تزويج الشباب والشابات من غير المقتدرين.

هذا بالإضافة إلى أعمال أخرى كثيرة يمكن أن تلحق بهذه المشروعات الأساسية.

وهذه الجمعيات لها دور بارز في حل كثير من المشكلات الاجتماعية الأساسية، وهي باب واسع من أبواب الخير، بل إنها تعد من أضخم المشروعات وأهمها، ويحتاج إليها كل مجتمع إنساني في كل زمان ومكان.

ومما يثلج صدر كل إنسان في عالمنا العربي قيام بعض الأغنياء والميسورين بفتح أبواب الخير، وإنشاء مؤسسات وجمعيات ومراكز خيرية وتعليمية وإغاثية، وبرز من

www.mtenback.com

هؤلاء الشخصيات الشيخ سلطان العويس والشيخ جمعة الماجد في دولة الإمارات العربية المتحدة، والذي استحق جائزة الملك فيصل لأعماله الخيرية، وقام بالتبرع بها دعمًا للأعمال الخيرية المختلفة.

وفي شهر رمضان المبارك نجد في أغلب بلادنا الإسلامية ظاهرة خيرية طيبة، حيث تُمد موائد الإفطار في الطرقات وساحات المساجد للفقراء والمحتاجين.

ومن الأبواب الهامة في فعل الخير باب الصدقة الجارية، الذي جعل الناس يتسابقون في تقديمها بأشكال متنوعة، وأساليب مبتكرة مبدعة، كثلاجات الماء البارد في الطرقات، وعلى أسوار المنازل والمساجد، وتوزيع الطعام والشراب في مواسم الحج على الناس في مكة والمدينة، حيث نجد القاطرات والثلاجات الضخمة الممتلئة بأنواع الطعام والشراب تقف على جانبي الطرقات في المناسك للتوزيع على الحجيج.

ومن ذلك ملابس الشتاء التي توزع على الفقراء، والحقيبة المدرسية التي تشتمل على كل ما يحتاجه الطالب، وتوزع على الأيتام والفقراء فتدخل السرور على قلوبهم.

وكذلك ما تقوم به بعض المؤسسات من جمع الفائض من طعام الولائم لتوزيعه على المحتاجين بدلاً من إلقائه إسرافًا وتبذيرًا.

وهذه الأعمال الخيرية المختلفة، المنتشرة في بلادنا تدل على مدى تأصل فضيلة حب الخير للناس، والحرص عليها، وتعميمها، وذلك لما جبلت عليه المجتمعات المسلمة من تكافل وتعاون متمثّلةً مبدأ الجسد الواحد.

مواقف تاريخية في حب الخير:

إن المواقف التي سطرها الأخيار في صفحات التاريخ في حب الخير للناس أكثر من أن تحصيها الكتب، وتجمعها المصنفات، وهي كالنبع الذي لا ينضب، وتتواصل مع مرور الزمن دون توقف، وتتنوع لتشمل كل مجالات الحياة، وهي معين لمن أراد التزود بها، وشفاءٌ لمن شعر بمرض الدنوّ والحرص والأثرة..

www.mtenback.com

وكيف لا يكون ذلك وقد نقل عن العرب قولهم: «الخير عادة والشر لجاجة»[١٧٢] فالعرب منذ أيامهم الأولى يعرفون أن الخير عادة يمارسها أكثر الناس وأن الشر عارض لا مكان له عندهم.

كان لذي الأصبع العدواني ابن عم يُسمى عمرًا يكن له عداوة شديدة، ويسعى في إيذائه وتقطيع العلاقة بينه وبين أبناء عمه، ولكن الشاعر العدواني يأبى أن يعامله بالمثل، على الرغم من المرارة الشديدة التي كانت تعتلج في داخله، حيث يقول[١٧٣]:

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ ... مُخْتَلِفَانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ ... عَنِ الصَّدِيقِ وَلاَ خَيْرِي بِمَمْنُونِ

وَلاَ لِسَانِي عَلَى الأَدْنَى بِمُنْطَلِقٍ ... بِالْمُنْكَرَاتِ وَلاَ فَتْكِي بِمَأْمُونِ

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ ... وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلاَقًا إِلَى حِينِ

اللهُ يَعْلَمُنِي وَاللهِ يَعْلَمُكُمْ ... وَاللهُ يَجْزِيكُم عَنِّي وَيَجْزِينِي

يَاعَمْرُو لَوْ كُنْتَ لِي أَلْفَيْتَنِي يَسِرًا ... سَمْحًا كَرِيمًا أُجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مواقف كثيرة في الخير، وكيف لا وهو الذي قال فيه ابن عباس: «كان خيرًا كله» أو قال: «كالخير كله».

ومن مواقفه أنه كان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن من يحلب لنا منائح دارنا؟ فسمعها فقال: لأحلبنها لكم، وأرجو أن لا يغرني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه، فكان يحلب لهم رضي الله عنه[١٧٤].

---

[١٧٢] الميداني: مجمع الأمثال (١/٢٤٧).

[١٧٣] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني (٣/٩-١٠). والأبيات مختارة من قصيدة طويلة.

[١٧٤] أحمد بن عبد الله الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق عبد المجيد حلبي دار المعرفة، بيروت، ط١: (١٤١٨هـ) (١/١٧٥).

www.mtenback.com

ومن المواقف المهمة التي سطَّرها التاريخ لنا، ونقلتها كتب السير، وبينت قيمة التكافل الاجتماعي، وعظم فضيلة حب الخير للناس، ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ أعرابيًا أتاه، فقال:

يَا عُمَرَ الخَيْرِ جُزِيْتَ الجَنَّهْ ... اكْسُ بُنَيَّاتِي وأُمَّهُنَّهْ

وَكُنْ لَنَا مِنَ الزَّمَانِ جُنَّهْ ... أُقْسِمُ بِاللهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

قال عمر: إن لم أفعل يكون ماذا؟!

قال الأعرابي: إذًا أَبا حَفْصٍ لأَذْهَبَنَّهْ

قال عمر: إذا ذهبت يكون ماذا؟

قال الأعرابي:

تكون عَنْ حَالِي لَتُسْأَلَنَّهْ ... يَوْمَ تَكُونُ الأَعْطِيَاتُ هَنَّهْ

وَمَوْقِفُ المَسْؤولِ بَيْنَهُنَّهْ ... إِمَّا إِلى نَارٍ وَإِمَّا جَنَّهْ

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، ثم قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره. والله لا أملك غيره[١٧٥].

ومما يُذكر عن عمر أيضًا ما أورده الأوزاعي أنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة بن عبيد الله، فذهب عمر فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟!! قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تَتْبع[١٧٦].

---

[١٧٥] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة، آية ٢٦٢، ٣/٣٩٣.

[١٧٦] ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شوحان، مكتبة المؤيد، الطائف، (د.ت) ص٨٦.

www.mtenback.com

ولعثمان رضي الله عنه مواقف كثيرة في فعل الخير، حيث كان غنيًا ينفق في السراء والضراء، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر اقتداءً بنبيه محمد ﷺ، ومن مواقفه في ذلك شراء بئر رومة التي كانت لرجل من بني غفار، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له الرسول ﷺ : «تبيعها بعين في الجنة؟» فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي عينٌ غيرها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «اجعل لي مثل الذي جعلت له عينًا في الجنة» قال: نعم، قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين.

وفي رواية أنها كانت ليهودي فساومه عثمان فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى منه نصفها باثني عشر ألف درهم، فجعلها للمسلمين، واتفقا على أن يكون لليهودي يوم ولعثمان يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال: أفسدت علي ركيتي، فاشترى عثمان النصف بثمانية آلاف درهم(١٧٧).

وكان عبد الله بن المبارك يُطعم أصحابه في الأسفار أطايب الطعام وهو صائم، وكان إذا أراد الحج من بلده، مرّ وجمع أصحابه وقال: من يريد منكم الحج؟ فيأخذ منهم نفقاتهم، فيضعها عنده في صندوق ويقفل عليه، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة، ويطعمهم أطيب الطعام، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف، ثم يرجع بهم إلى بلده، فإذا وصلوا صنع لهم طعامًا، ثم جمعهم عليه، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فردّ إلى كل واحد نفقته(١٧٨).

يقول ابن القيم رحمه الله عن شيخه ابن تيمية: وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت

(١٧٧) أحمد الطبري: الرياض النضرة (١٧/٣).

(١٧٨) د. سيد حسين عفاني: صلاح الأمة في علو الهمة، (٣٠٠/٥).

www.mtenback.com

أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرّوا به ودعوا له، وعظّموا هذا الحال منه[١٧٩].

كانت لأبي برزة الأسلمي جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين[١٨٠].

وفي أيام سليمان بن عبد الملك، وفي مدينة الرقة عرف رجلٌ اسمه خزيمة بن بشر بحبه الخير وعطفه على المساكين، وكان غنيًا ذا مروءة وفضل على الناس، لا يرد سائلاً ولا يحرم طالبًا، ولا يقعد عن مكرمة، ولم يزل على ذلك حتى استنفد المعروف والخير ماله كله، فلم يبق معه شيء، فاستعان بإخوانه فأعانوه، ولكنه رأى أنه أثقل عليهم فاعتزل في بيته، وطلب من زوجته أن تلحق بأهلها فلم ترض، وأصرت على البقاء ومشاركته في محنته.

سمع به أمير الجزيرة عكرمة الفياض الربعي، فسأل عنه يومًا فعلم بخبره، ثم جاءه ذات ليلة ملثمًا وطرق الباب عليه، وأمده بالمال الوفير والطعام والكساء..

حاول خزيمة أن يعرف من هو هذا الفارس الملثم، وبعد إلحاح شديد قال له: أنا جابر عثرات الكرام، ولما فتح خزيمة الكيس وجد فيه أربعة آلاف دينار، وعندما عاد عكرمة إلى بيته أحست به زوجته، فألحت عليه بالسؤال أن يخبرها عن سبب غيابه وقدومه في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل، وذلك غيرة عليه ومخافة أن يكون قد تزوج عليها. فأخبرها بما جرى.

وبعد ذلك تغير حال خزيمة، واغتنى من المال الذي وهبه له عكرمة، ودارت الأيام، وزار خزيمة الخليفة سليمان بن عبد الملك فقص عليه قصته، فقال له: هل عرفته

---

[١٧٩] د. سيد حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة ٥/٢٨٢-٢٨٣.

[١٨٠] د. سيد حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة ٥/٢٩٠.

www.mtenback.com

حتى نكافئه على خيره؟ فأخبره بأنه لا يعرف عنه شيئًا سوى أنه جابر عثرات الكرام، ولكون خزيمة محبوبًا مقربًا من سليمان فقد ولاه إمارة الجزيرة بعد أن عزل عكرمة الفياض لاتهامه بالإسراف، ولما تولى خزيمة الإمارة دعا عكرمة للحساب، فوجد نقصًا في أموال الإمارة، فاعترف بها فطالبه بها فلم يستطع دفعها، فأمر به إلى السجن وضيق عليه، وأثقله بالقيود.

ومر شهر وعكرمة في السجن وزوجته تعاني وتكابد بعده وفراقه لها، فما كان منها إلا أن أرسلت جاريتها إلى خزيمة لتخبره من هو جابر عثرات الكرام.

ولما علم خزيمة بذلك هرع إلى السجن في حالة من الذهول، ففك قيده وجعل يقبل رأسه ويعتذر له عما بدر منه من الإساءة، وعرف عكرمة أن زوجته هي التي أعلمت خزيمة بالأمر فاستحى ونكس رأسه.

ولما علم الخليفة بالأمر كافأهما جميعًا، وأدنى مجلسهما وعين كلاً منهما على ولاية[١٨١].

هذه المواقف أمثلة على فعل الخير، لأن استقصاء كل الأمثلة في تاريخنا العربي المجيد أمرٌ لا يُستطاع، وذلك لتميز الأمة بهذه الخصلة، وسبقها بقية الأمم في حب الخير وفعله ونشره، وبالتالي كانت المواقف المهمة في حب الخير تُسجل على مر الزمن، وتنقل عبر الكتب والمؤلفات ليستفيد منها الناس في كل حين..

وقراءة مثل هذه المواقف تثير في النفس نوازع حب الخير، وتدفع لفعلها، وبالتالي كانت هذه النماذج ذات أثر فعال في تحقيق القدوة، وتوفير النموذج الذي يجب أن يحتذى، مما يحتم ضرورة تناقلها، والتذكير بها، وتمثيلها واقعًا حيًا نستعيد به تلك المواقف الحضارية القيمة.

---

[١٨١] انظر: علي الطنطاوي، جابر عثرات الكرام، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٤هـ).

www.mtenback.com

ولم تخل بلادنا من أفعال الخير على مر العصور حتى في أيامنا هذه، فالخيرون كثيرون، وأفعالهم ظاهرة واضحة، وإن كان الكثير منها لا يعرفه إلا القليل من الناس؛ لأن الخيرين يؤثرون الاحتساب على الظهور والشهرة حتى يتضاعف أجرهم وثوابهم، وكثير منهم من يؤدي فعلاً خيراً في السر ولا يعلمه إلا القليل من الناس، أو لا يعلمه إلا فاعله والمؤدّى إليه، وكم نسمع عن صدقة أو هدية وصلت لمحتاج أو فقير من قبل «فاعل خير».

حب الخير للحيوانات:

الحب وفعل الخير مطلوبان حتى في معاملة البهائم، لأن الفطرة البشرية السليمة تشعر بما يشعر به أي كائن حي، وتحس بأحاسيسه المختلفة من سرور وحزن، وراحة وألم، واطمئنان وخوف، وغيرها.

وكان العرب قبل الإسلام بالرغم من شظف الحياة وقساوتها رحماء القلوب، مرهفي الإحساس، يشعرون بآلام حيواناتهم، ويتأثرون لها..

فهذا الشاعر الأعشى يظهر تعاطفه مع ناقته التي تشكو إليه ما أصابها من ضر وإعياء[١٨٢]:

أَكْلَلْتُهَا بَعْدَ المِرَاحِ فَآلَ مِنْ أَصْلابِهَا
فَشَكَتْ إِلَيّ كَلالَهَا وَالجَهْدَ مِنْ أَتعَابِهَا

وهذا عنترة يتألم لحصانه، ويستشعر شكواه، فيقول[١٨٣]:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

---

(١٨٢) الأعشى: ديوانه، ص١٨.

(١٨٣) عنترة: ديوانه، ص ٢١٧.

www.mtenback.com

وإذا كانت الإنسانية حتى العصر الحديث لا ترى للحيوان نصيبًا من الرفق، ولا تزال بعض الأمم المعاصرة تتلهى بقتل الحيوان في أفراحها ورياضتها؛ فإن حضارة الإسلام قد جعلت الرفق والرحمة حقًا للحيوان كحق الإنسان بل الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة، ففي الحديث الشريف: «بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتّد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر اللهُ تعالى له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟! فقال: في كل ذات كبد رطبة أجرٌ»[184].

وبالمقابل فإن القسوة على الحيوان تدخل النار ففي الحديث: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها، و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[185].

وحرم الإسلام إجاعة الحيوان المستخدم، فقد مرّ الرسول ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه من الجوع، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»[186]. ولعن ﷺ من اتخذ شيئًا فيه روح هدفًا وقال: «لا تتخذوا شيئًا فيه روح غرضًا»[187].

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال، فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه أو ذبحه إذا كان مما

---

[184] البخاري: الصحيح، باب فضل سقي الماء برقم ٢٣٦٣، ومسلم، باب فضل ساقي البهائم برقم ٢٢٤٤.

[185] الصحيحان: البخاري برقم ٢٣٦٥ ومسلم برقم ٢٢٤٢.

[186] الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٣.

[187] مسلم: باب النهي عن صَبْر البهائم برقم ١٩٥٧و١٩٥٨.

www.mtenback.com

يؤكل، وقد ذهبوا إلى ماهو أبعد من هذا، فقال بعضهم: إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف، ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق»[188].

وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان كما فعل عمر بن عبد العزيز حين أمر عماله بألا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة.

إن حب الخير للحيوان في تاريخ الإسلام مجال واسع كمجاله في الخير للإنسان، وفعله مع الحيوان كفعله مع الإنسان، امتثالاً لأمر الإسلام في الرحمة والشفقة وطلبًا للثواب، فها هو الصحابي عدي بن حاتم يفتّ الخبز للنمل ويقول إنهن جارات لنا، ولهن علينا حق، وروي أن الإمام إسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه، فعرض له كلب فزجره صاحبه، فنهاه الشيخ قائلاً: أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه[189].

من آثار حب الخير في المجتمع:

إن من عامل الناس بصدق ومحبة وأمانة - وعرفوا منه ذلك - اطمأنوا إليه وركنوا إلى معاملته، ورغبوا في الأخذ منه وإعطائه، وصارت نفوسهم إلى أمانته منقادة واثقة، وحاز الاعتبار والشرف اللذين عليهما أسست المعاملات النزيهة الطيبة.

والخير أيًا كان نوعه لا بد أن يترك أثرًا طيبًا يعود على صاحبه بالنفع المادي والمعنوي، وتأثيره في الناس يكون في المجالات بكافة أنواعها فكرية أو اجتماعية أو سلوكية، أو غير ذلك.

---

[188] د. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ١١٣.

[189] انظر المرجع السابق، ص ١١٤-١١٥.

www.mtenback.com

ولذلك ينبغي للمرء عندما تتوجه نيته لفعل الخير أن يبحث عن مظانه ومواطنه، والتي منها الإحسان إلى الناس بالعطاء والمنح والصفح، والمعونة لهم بالفعل والقول، والنصح لهم وتقديم المشورة، وإغاثة الملهوف، ونصرة الضعيف، والبشر للصديق والجار والضيف، والرفق في التعامل معهم، وهذا يتطلب جهدًا وعزمًا واستنهاض نفسٍ، وقبل كل ذلك إخلاصًا في النية، وتجردًا عن المصالح الدنيوية الدنيئة ولذا فإن القادر على فعل الخير لكنه يبخل به على الناس، ويسوّف ويؤجل ويتسبب في نفور الناس منه، والبعد عنه، يقلُّ صديقه ويكثر عدوّه وفي ذلك يقول الشاعر أبو الفتح البُستي[١٩٠]:

أَحْسِنْ إِلى الناسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَلَطَالَما اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فليَكُنْ لَكَ فِي ... عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفحٌ وغُفْرانُ

وكُنْ عَلى الدَّهْرِ مِعْوَانًا على أَمَلٍ ... يَرجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الحُرَّ مِعْوانُ

مَنْ كانَ للخَيْرِ منّاعًا فَلَيْسَ لَهُ ... عَلَى الحَقِيقَةِ إِخْوانٌ وأَخْدانُ

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... نَدَامَةً ولِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

كُنْ رِيِّقَ البِشْرِ إِنَّ الحُرَّ هِمَّتُهُ ... صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا البِشْرُ عُنْوانُ

ورافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ ... يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ نَدْمانُ

أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ ومقدِرةٌ ... فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الإِحْسَانِ إِمْكَانُ

وَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا فَالْقَهُ أَبَدًا ... والوَجْهُ بِالْبِشْرِ والإِشْرَاقِ غَضَّانُ

دعِ التَّكاسُلَ فِي الخَيْراتِ تَطْلُبُهَا ... فَلَيْسَ يُسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلانُ

---

[١٩٠] د. محمد مرسي الخولي، أبو الفتح البستي: حياته وشعره، دار الأندلس، القاهرة، (د.ت)، ص٣١٤-٣١٥.

www.mtenback.com

ولأن العلاقة الإنسانية منبعها حب الخير للناس، ونفعها يعود على المجتمع كله، كانت من الضرورات الملحة، والأسس الأخلاقية الهامة لبناء مجتمع صالح تسوده عوامل المحبة، وأواصر القربى وروابط الإخاء.

وتكثر الأمثلة التي تدعو إلى الخير وتحث عليه في المجتمعات الصالحة، التي تحرص على الاستقرار والأمن والطمأنينة في ظل أعمال الخير المختلفة، وقد جاء في أمثال العرب كثير منها، وذلك مثل[١٩١]:

خير الناس من فرح للناس بالخير.

خير الأصحاب من دلك على الخير.

خير من الخير فاعله.

الخير أبقى وإن طال الزمان به.

لا خير في السرف، ولا سرف في الخير.

ولولوع العرب بحب الخير نجد أنهم قد أطلقوا اسم الخير على الخيل لمحبتهم إياها، كما أطلقوا اسم الخير على أبنائهم، واشتقوا من هذه الكلمة أسماء كثيرة، كخيري وخيرية وخيار وخير الدين، ومحمد خير، وكنوا بأبي الخير، وأم الخير، وقد ذكر الزبيدي في تاج العروس عشرات الأسماء المشتقة من الخير[١٩٢].

وبالتالي كان لحب الخير آثار عميمة يرجع فضلها على الناس جميعًا، وتؤثر في كل مجال من مجالات الحياة المختلفة، وتبني مجتمعًا صالحًا يقوم في بنائه على خير الصفات وأجمعها للمودة والمحبة والألفة.

ومن آثار الخير التي نلاحظها في مجتمعات الخير ما يلي:

---

[١٩١] الميداني: مجمع الأمثال (١/ ٢٦٣).

[١٩٢] للاستزادة راجع: الزبيدي: تاج العروس، مادة (خير).

www.mtenback.com

التكافل الاجتماعي بكل معانيه وصوره، حيث نرى التعاون بين الأفراد والجماعات قائمًا بأفضل حالاته، وممثلاً بأحسن صوره، ونرى التماسك والترابط والحرص على المصالح العامة والخاصة ديدنًا لذلك المجتمع الذي نهج طريق الخير وحبه للناس.

كما نرى القضاء على الآفات الاجتماعية المختلفة، مثل الغدر والخيانة والسرقة والغش والرشوة والحقد وأكل الربا، وغيرها مما يترتب عليه عواقب وخيمة، فالمجتمع الذي يحب أفراده الخير نجده متراصًا كأسرة واحدة لا تقع فيه جرائم وجنايات، مما يجعله في منأى عن الفساد والانحراف.

ومن الآثار الإيجابية لهذه القيمة في المجتمع شيوع المحبة بين أفراده، ابتداءً من طرح السلام، مرورًا بإجابة الدعوة وزيارة الخلان، وعيادة المرضى، وانتهاءً بالتعزية وتشييع الجنائز. كل هذه الأشياء تترك آثار طيبة بين أفراد المجتمع، وتنمي أواصر المحبة والألفة.

كما أن من آثارها علاج مشكلة الفقر، أو الحد منها، فالذين يسعون لفعل الخير يضعون نصب أعينهم مساعدة الفقراء والمحتاجين، ويقدمون لهم المعونة المادية والمعنوية، مما يزيل عنهم آثار الفقر والبؤس والحرمان، وهذا بدوره يقود إلى مجتمع نقي من الفقر ومشكلاته، وبذلك تنتشر في هذا المجتمع القيم والأخلاق النبيلة بين أفراد المجتمع، كالإيثار، والتضحية، والبذل، والمروءة، والفتوة، والدفاع عن الوطن والعرض، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم،وهذه تنمو وتتأصل في نفوس الناس إذا تعودوا على بذل الخير، فضلاً عن إزالة الفروق الطبقية بين الناس، وغرس التواصل بينهم، وهذا يحصل حين يعطف الغني على الفقير، ويساعد القوي الضعيف، ويُنصر المظلوم، ويكون العدل سائدًا بين الناس والأمن شائعًا بينهم، وكذلك الاستقرار والطمأنينة فتختفي معالم الجريمة والفساد والشر، وتحل محلها القيم النبيلة، وأفعال الخير، فالجار يأمن جاره،

www.mtenback.com

والضعيف لا يخشى سطوة القوي، والفقير يتلقّى معونة الغني، وهكذا، تحصل البركة في المجتمع بكافة مجالاته.

ومن مظاهر حب الخير في المجتمعات الإسلامية ما يلاحظ من إسهام الأفراد في حل مشكلة التعليم، والقضاء على الأمية والجهل، وذلك عن طريق دعم المؤسسات والمراكز الخيرية في الجانب الثقافي، كتوفير المال اللازم للطلاب الأيتام والفقراء، وبناء المدارس ومراكز التأهيل الفني والمهني، ومراكز تحفيظ القرآن وغيرها. والإسهام في نهضة البلاد عمرانيًا واقتصاديًا، وحل أزمة البطالة بإيجاد فرص عمل موجهة منظمة، عن طريق التعاونيات الخيرية وتعزيز دور المرأة في العمل الخيري، ودفعها لبذل جزء من وقتها وجهدها للنفع العام، ولشغل هذا الفراغ، وسد ثغرات كثيرة في المجال النسائي، عن طريق المشاركة الفعالة في الجمعيات الخيرية النسائية، وتعليم النساء الأميات أو الفقيرات، والنهوض بهن، والمساهمة في افتتاح المراكز التأهيلية النسائية.

بناء على ماسبق، ولتحقق هذه الفوائد العظيمة، والآثار الطيبة في الفرد والمجتمع نتيجة حب الخير للناس والحرص عليه، فإن الواجب على المرء أن يسارع إلى سلوك منهجي في حب الخير، يتأصل ذلك في نفسه أولاً، وينهض غير متكاسل لطرق أبواب الخير أينما كانت، متمثلاً قول الشاعر:

سابِقْ إلَى الخَيْرِ وبَادِرْ بِهِ ... فَإنَّمَا خَلْفَكَ مَا تَعْلَمُ

وقَدِّم الخيرَ فكُلُّ امرئٍ ... على الَّذِي قدَّمَهُ يقدمُ

ومن الجدير ذكره أن الحطيئة المشهور بهجائه اللاذع ترك عددًا كبيرًا من القصائد والأبيات الشعرية في موضوعات عديدة، ولكنّ بيتًا شعريًا واحدًا حثّ فيه على فعل الخير يحفظه أكثر الناس وأخذوا يرددونه من عصره إلى يومنا وهو[١٩٣]:

مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والنَّاسِ

[١٩٣] ديوان الحطيئة: شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، (١٤٠١هـ)، ص١٩.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور عبد الرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا... الآية﴾	١٤٨	٢٦
	﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ... الآية﴾	١٧٨	٣٩
	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... الآية﴾	٢٤٥	٦٤
	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ... الآية﴾	٢٢٠	٤٧
	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ.. الآية﴾	٢٦٨	٩، ٣٠
	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا... الآية﴾	٢٧١	٥١
	﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ... الآية﴾	٢٧٢	٣١
آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ... الآية﴾	١٠٤	٢٦
	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.... الآية﴾	١١٠	٢٦
	﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.. الآية﴾	١١٤	٢٦
النساء	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا.. الآية﴾	٨٥	٤٠
	﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ... الآية﴾	٨٦	٥٦
الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ.... الآية﴾	١٩٩	٣٩
التوبة	﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ... الآية﴾	٨٨	٧
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ... الآية﴾	٩٠	٢٧
الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ... الآية﴾	١٠٧	٣٢
الحج	﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ... الآية﴾	٧٧	٢٦
المؤمنون	﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا... الآية﴾	٦١	٢٧
فصلت	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ.... الآية﴾	٤٦	٣١
الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ.... الآية﴾	٩	٤٤
نوح	﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا.. الآية﴾	٢٦	٣٣

www.mtenback.com

السورة	الآيــة	رقمها	الصفحة
المزمل	﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوه... الآية﴾	٢٠	٢٧
الإنسان	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا... الآية﴾	٣	٩
البلد	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ... الآية﴾	١٠	٩
الضحى	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَر... الآية﴾	٩-١٠	٤٧
الزلزلة	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يرَهْ... الآية﴾	٦-٧	٢٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اتقوا الله في هذه البهائم...»	٨٣
«أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس...»	٣٩
«إذا أقرض أحدكم أخاه قرضاً..»	٦٥
«أخرجي على بركة الله تعالى...»	٣٧
«اشفعوا تؤجروا...»	٤٠
«أفضل الصدقة صدقة اللسان...»	٤١
«اللهم أحيني مسكيناً...»	٣٤
«اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون...»	٣٣
«إن الله تبارك وتعالى بعث حبيبي...»	٦٢
«إن الخير لا يأتي إلا بالخير...»	٢٩
«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى...»	٥٩
«إنّ للشيطان لمة بابن آدم...»	٩
«إنّ لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس...»	٢٨
«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»	٤٧
«بينما رجل يمشي بطريق»	٨٣
«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة...»	٤٦
«تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم...»	٣٥
«تكوني مع أم سلمة زوجتي...»	٣٧
«تهادوا تحابوا...»	٥٩
«خمس من حق المسلم على المسلم...»	٦١
«دخلت امرأة النار في هرة...»	٨٣

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«الدين النصيحة...»	٥٢
«رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا...»	٦٥
«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد...»	٤٩
«على كل مسلم صدقة...»	٣٠
«كل سلامى من الناس عليه صدقة»	٣٠
«كل معروف صدقة وإنّ من المعروف...»	٥٥
«كل مولود يولد على الفطرة»	٩
«لا تحقرن من المعروف شيئاً...»	٥٥
«لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس...»	٤٣
«المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه...»	٢٨
«مكتوب في التوراة: ليس بفظ ولا غليظ...»	٣٤
«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله...»	٢٩
«من عاد مريضاً أو زار أخاً...»	٦١
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...»	٦٣
«من يسّر على معسر في الدنيا...»	٦٥
«وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان...»	٣٢
«يارسول الله: إن لفلان نخلة...»	٤٤

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ب ـ		
سأوصي	وجرّبا	الأعشى	٣	٥٣
وإني	راهبُ	بشر بن أبي خازم	٥	٢٠
ضخم	المنتابِ	الخنساء	١	٤٨
وأبو	معشابِ	الباهلية	١	٤٨
قد	مؤتشبِ	عمرو بن معديكرب	٤	٥٤
أكللتها	أصلابها	الأعشى	٢	٨٢
تلوم	واغضبي	حُجيّة بن المضرب	٣	٤٩
		ـ ت ـ		
ألا ياعين	والمكرماتِ	أم حكيم	٢	١٦
		ـ ث ـ		
سابق	أحاديثُ	-	٢	١٣
		ـ ح ـ		
واستبق	ملحاحا	النابغة الذبياني	٢	٥٣
محمد	ويصلحُ	يحيى بن المنصور	١	٣٤
		ـ د ـ		
إذا	مجدا	المقنع الكندي	٢	٧١
وليس	يوجدُ	أبو اللحام التغلبي	٣	٢٣
لا يصلح	سادوا	الأفوه الأودي	٣	٢٥
وإذا	الردي	عدي بن زيد	٣	٧٠
ومن يقض	والبعدِ	الشافعي	٢	٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ر ـ		
إذا	ونعتذر	ـ	١	١٢
أوقد	صِرِّ	حاتم الطائي	٢	٦٢
زرْ	وأستَارُ	ـ	٢	٦٢
إذا	الشكرُ	ـ	١	٤٠
فككتُ	جحدرِ	حاتم الطائي	٢	٢١
ولليَتامى	مخبورِ	الخنساء	١	٤٨
أزور	الصدورِ	ـ	٢	٦٠
يا عين	الجاري	الخنساء	٢	٤٨
		ـ س ـ		
أخو	عابسَا	محمود الوراق	٢	٥٧
من يزرع	الرأسِ	ـ	١	٧٠
من	والناسِ	الحطيئة	١	٨٨
كنْ	باسِ	ـ	٢	٦٩
		ـ ض ـ		
إذا	والقبضا	الشافعي	٣	١٠
		ـ ع ـ		
ازرع	زرعا	ـ	١	٦٩
غيث	نفعا	الأعشى	١	٤٩
تعمدني	الجماعهْ	الشافعي	٣	٥٤
		ـ ط ـ		
تكاملت	ومغتبط	أبو الشيص الخزاعي	٢	٥٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ف ـ		
والجار	فينصرفُ	الأعشى	١	٦٣
يا أيها	منافِ	ـ	٣	١٨
		ـ ق ـ		
الق	بالطلاقه	سعيد بن عبيد الطائي	٢	٥٨
		ـ ل ـ		
وإذا	الجملْ	لبيد	١	٦٥
أأسيدُ	جميلا	ذو الأصبع العدواني	١٧	٦٨
ولم أرَ	فجميلُ	ـ	١	٥٢
لا خيلَ	الحالُ	المتنبي	١	٥٧
وصلات	الأغلال	الأعشى	١	١٦
وإن	فتحوّلِ	منقر بن فروة	٢	٦٧
إذا	ماله	ـ	١	٤١
وما المرء	فاجعلِ	ـ	١	٧٠
أنيّ	فاعجلِ	عبد قيس بن خفاف	٤	٦٧
		ـ م ـ		
سابق	ما تعلمُ	ـ	٢	٨٨
تُحدى	الظلمِ	كعب بن زهير	٢	٣٢
وما المرء	بالمعصمِ	ـ	٢	٦١
سعى	بالدمِ	زهير بن أبي سلمى	٥	٢٢
فدى	الأسقامِ	ـ	٤	٢١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فازورّ	وتحمحمِ	عنترة	٢	٨٢
		ـــ ن ـــ		
ولكنّ	هانا	قريط بن أنيف	٣	٢٤
أحسن	إحسانُ	أبو الفتح البستي	١٠	٨٥
يا عمر	وأمهنّه	–	٤	٧٨
وإذا	الرحمنِ	علي الغنوي	١	٣١
ولي	ويقليني	ذو الأصبع العدواني	٦	٧٧
		ـــ ي ـــ		
وجارة	خافيا	الأعشى	٢	٦٣
يا عينُ	الجاري	الخنساء	٢	٤٨
كيف	تأتيني	الحطيئة	١	١٩
وأغض	مأواها	عنترة	١	٦٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«إن خيراً من الخير فاعله وإن شراً من الشر فاعله»	٤٧
«بذل الجاه زكاة الشرف»	٤٠
«الخير أبقى وإن طال الزمان به»	٨٦
«خير الأصحاب من دلك على الخير»	٨٦
«الخير عادة والشر لجاجة»	٧٧
«خير من الخير فاعله»	٨٦
خير الناس من فرح الناس بالخير»	٨٦
«الدال على الخير كفاعله»	١٨
«لا خير في السرف ولا سرف في الخير»	٨٦
«من يفعل الخير يجد الخير»	٣١
«المنة تهدم الصنعة»	٧٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب الأحاديث الشريفة

الأبشيهي، محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار الصالح، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن الأثير، عز الدين الجزري:

أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٥هـ.

أحمد قبش:

مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دمشق، مطبعة الجهاد، د.ت .

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، دار الفكر، بلا تاريخ ولا مكان.

الأعشى:

دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ.

الأعلم الشنتمري:

شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: د. علي المفضل حمودان، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م.

إميل يعقوب:

معجم لآلئ الشعر، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٨٨م.

www.mtenback.com

البرقوقي، عبد الرحمن:

شرح ديوان المتنبي، دار الناشر العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

أبو بكر الأنباري، محمد القاسم:

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٣م.

الجاحظ، عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، درا الجيل، بيروت، د.ت.

ابن الجوزي:

تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شوحان، مكتبة المؤيد، الطائف، د.ت.

أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد:

المعمرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصر ١٩٦١م.

حاتم عبد الله الطائي وأخباره:

ديوان حاتم، صنعة يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي. دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:

الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٥هـ.

www.mtenback.com

الحطيئة:

ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤٠١هـ.

الخضري، محمد سليم:

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق: نايف العباس وزميله، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.

ابن خلدون:

المقدمة، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢ ١٤١٨هـ.

ابن خلكان، محمد بن أبي بكر:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الخنساء:

ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، ط١ ١٩٩٦م.

الزبيدي:

تاج العروس، وزارة الثقافة والأنباء، الكويت، د.ت.

السيوطي، جلال الدين:

أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين، المكتبة الحديثة، دمشق، د.ت.

سيد حسين العفاني:

صلاح الأمة في علو الهمة.

الشافعي، محمد بن إدريس:

- ديوانه، جمعه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ديوانه، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ.

www.mtenback.com

الطبري، أحمد بن عبد الله:

الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق: عبد المجيد حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد:

- العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين ورفاقه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

- العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.

العجلوني، إسماعيل بن محمد:

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث، بيروت ط٢، ١٣٥١هـ.

العسكري أبو هلال:

جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم وزميله، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

علي الطنطاوي:

جابر عثرات الكرام ، دار الفكر، دمشق ١٤٠٤هـ.

عمر رضا كحالة:

أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١٠، ١٤١٢هـ.

عنترة بن شداد:

ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق،ط٢ ١٤٠٣هـ.

www.mtenback.com

ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم:

– الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٩٧٧م.

– عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ.

القرطبي، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

القرطبي، محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

القسطلاني، أحمد بن محمد:

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر:

زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٥، ١٤١٢هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل:

شمائل الرسول ودلائل نبوته، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت ط٢، ١٤٠٧هـ.

محمد أحمد جاد المولى:

أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، صيدا،١٣٦١هـ.

www.mtenback.com

محمد بن سيد الناس:

عيون الأثر، تحقيق: محمد العبد الخطراوي وزميله، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.

محمد عبده:

نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.

محمد مرسي الخولي:

أبو الفتح البستي حياته وشعره، دار الأندلس، القاهرة، د.ت.

المرزباني:

معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٠م.

مصطفى السباعي:

من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٥، ١٤٠٧هـ.

ابن مفلح المقدسي:

الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، ط٣ ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي:

الترغيب والترهيب، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

ابن منظور:

لسان العرب، دار صادر، بيروت ط٣ ١٤١٤هـ.

الميداني، أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

www.mtenback.com

النابغة الذبياني:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعـــارف، القاهرة ط٢ د.ت.

نديم مرعشلي:

الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ.

ابن هشام:

السيرة النبوية، دار الفكر، القاهرة، د.ت.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com